شرح

العلامة الشيخ اسماعيل بن موسى

ابن عثمان بن جودة الحامدى

المالكى الأحمدى الأشعرى

على

العقيدة الصغرى

لسيدى أحمد الدردير

رضى الله عنهم

وعليه تعليقات للشيخ عبد العزيز الحامدى

نجل المؤلف ومن علماء الأزهر الشريف

مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م / ٨٤٣

الطبعة الأولى

ترجمة سيدى أحمد الدرديرى رضى الله عنه

هو القطب الكبير ، والامام الشهير ، العالم العامل ، والمرشد الكامل ، شيخ أهل الاسلام ، وبركة الأنام : الشيخ أحمد بن محمد بن أبى حامد الدردير العدوى المالكى الخلوتى .

ولد رضى الله عنه ببلده بنى عدى سنة ١١٢٧ هـ كما أخبر عن نفسه ، وحفظ القرآن وجوده ، وحبب إليه طلب العلم ، فورد الأزهر المعمور ، وحضر دروس العلماء ، وسمع الحديث على كل من الشيخ محمد الصباغ ، والشيخ شمس الدين الحفنى ، وتفقه على الشيخ على الصعيدى العدوى المنسفيسى ، ولازمه فى جل دروسه كما حضر بعض دروس الشيخ الملوى ، والشيخ الجوهرى ، وغيرهما حتى أنجب وأفتى فى حياة شيوخه ، وتصدى بعد الاذن له للتدريس والتأليف مع كمال الزهد والتقوى .

فمن مؤلفاته هذه العقيدة ، ونظم الخريدة السنية وشرحها ، وحاشيته على شرح الهدهدى على السنوسية فى التوحيد ، وشرحه على متن خليل اقتصر فيه على الراجح من الأقوال ، ومتنه المسمى : أقرب المسالك لمذهب الامام مالك وشرحه بشرح جميل ، ورسالة فى آداب البحث ، ورسالة فى متشابهات القرآن ، ورسالة أفرد فيها طريقة حفص ، ورسالة فى المعانى والبيان ، وأخرى فى الاستعارات وشرحها ، وغير ذلك .

وتلقن الذكر وطريق السادة الخلوتية من أبى الأنوار الحفنى ، واستمر سالكا مترقيا فى درجات الوصول والعرفان ، حتى أذنه شيخه بالارشاد فأقبل عليه المريدون ، وانتفع به القاصدون ، وظهرت على يديه الخيرات والبركات ، وخوارق العادات ، ولاتزال طريقته منتشرة يسلكها الرجال الأوفياء ،

السائرون على نهج الأستاذ ، تلوح عليهم أنوار الطريق ، وتشرق على قلوبهم شموس التحقيق ، أكثر الله من أمثالهم ، ونفعنا بهم ، وحشرنا فى زمرتهم ، إنه سميع مجيب .

ولما توفى شيخه الصعيدى العدوى عين المترجم له بدله شيخا على المالكية ومفتيا ، وشيخا على رواق السادة الصعايدة بالأزهر الشريف ، وناظراً على أوقافهم إلى أن وافاه الأجل المحتوم فى اليوم السادس من شهر ربيع الأول سنة ١٢٠١ هـ

فاحتفل بجنازته بما يليق لمثله ، وشيعوه حتى وسدوه التراب في زاويته التى أنشأها بخط الكعكيين بعد عودته من الحج سنة ١١٩٩ هـ

وضريحه مشهور يقصده الناس للتبرك والزيارة ، ومن لطيف ما اتفق أن تاريخ وفاته يوافق جمل جمله رضى الله عنه

(اهـ من الجبرتى مع التصرف)

عبد العزيز الحامدى

ترجمة الأستاذ الحامدى رضى الله عنه

هو العلامة المحقق ، والفهامة المدقق ، العلم الفرد ، التقى النقى : الشيخ إسماعيل بن موسى بن عثمان بن محمد بن جودة الحامدى لقبا وقبيلة ، الأشعرى عقيدة ، المالكى مذهبا ، الأحمدى طريقة ، العباسى نسبا وأصلا .

ولد رضى الله عنه سنة ١٢٤٥ هـ والتحق بالأزهر الشريف سنة ١٢٥٥ هجرية ، وقد تلقى عن فطاحل زمانه كالولى التقى الشيخ أحمد بن إسماعيل الاسماعيلى ، والشهاب المنير : الشيخ محمد عليش ، وإمام المحققين : الشيخ إبراهيم السقا ، وشيخ الاسلام والمسلمين : الشيخ إبراهيم الباجورى وغيرهم .

ولما آنس منه شيوخه رشداً ، ورأوا منه علما وفضلا أذنوه بالتدريس بالأزهر المعمور سنة ١٢٦٤ هجرية ، فتصدى للتدريس ، وتخرج عليه الكثير من السادة الأماجد كالشيخ الامام الشيخ محمد عبده ، وأبى حنيفة زمانه : الشيخ محمد بخيت ، ومحقق وقته : الشيخ دسوقى العربى ، ومحدث أوانه : الشيخ محمد السمالوطى ، وغيرهم ممن كانوا منارا للهدى ، واستمر ينشر العلم بالتدريس والتأليف الذى من جملته هذا الشرح إلى أن اختاره الله تعالى إلى جواره فى يوم الأحد ٢١ رجب ١٣١٦ هجرية الموافق ٤ ديسمبر سنة ١٨٩٨ ميلادية .

هذا وقد ذكرت ترجمته مستوفاة مطبوعة مع حاشيته على كبرى السنوسية وهى موجودة ضمن كنوز العلوم والمعارف .

بمكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

فعليك بها فان فيها مايطفىء ظمأ الظامئين ويشفى صدور قوم مؤمنين؟

عبد العزيز الحامدى

نجل المؤلف

عقيدة القطب الشهير سيدى أحمد الدردير

رضى الله عنـــه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ مَعْرِفَةُ مَا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِأَنْبِيَائِهِ وَمَلَائِكَتِهِ الْكِرَامِ ، فَيَجِبُ لِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى عِشْرُونَ صِفَةً ، وَهِيَ : الْوُجُودُ ، وَالْقِدَمُ ، وَالْبَقَاءُ ، وَالْمُخَالَفَةُ لِلْحَوَادِثِ ، وَالْقِيَامُ بِالنَّفْسِ ، وَالْوَحْدَانِيَّةُ ، وَالْحَيَاةُ ، وَالْعِلْمُ ، وَالْإِرَادَةُ ، وَالْقُدْرَةُ ، وَالسَّمْعُ ، وَالْبَصَرُ ، وَالْكَلَامُ ، وَكَوْنُهُ تَعَالَى حَيًّا وَعَلِيماً وَمُرِيداً وَقَادِراً وَسَمِيعاً وَبَصِيراً وَمُتَكَلِّماً ، فَهَذِهِ عِشْرُونَ صِفَةً : الْأُولَى صِفَةٌ نَفْسِيَّةٌ ، وَالْخَمْسَةُ بَعْدَهَا سَلْبِيَّةٌ ، وَالسَّبْعَةُ بَعْدَهَا صِفَاتُ مَعَانٍ ، وَالَّتِي بَعْدَهَا مَعْنَوِيَّةٌ ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاجِبُ الْوُجُودِ ، قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ ، بَاقٍ بِلَا انْتِهَاءٍ ، مُخَالِفٌ فِي ذَاتِهِ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ ، فَلَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا عَرَضٍ وَلَا يَتَّصِفُ بِالْمَكَانِ وَلَا بِالزَّمَانِ وَلَا بِالْيَمِينِ وَلَا بِالشِّمَالِ وَلَا بِالْخَلْفِ وَلَا بِالْأَمَامِ ، الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ ، وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ، حَيٌّ ، عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ مِنَ الْعَوَالِمِ الَّتِي لَا يَعْلَمُ عَدَدَهَا إِلَّا اللَّهُ ، وَمَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا ، مُرِيدٌ لِكُلِّ شَيْءٍ جَرَى وَبَرَزَ مِنَ الْعَوَالِمِ ، قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ وَعَلَى إِعْدَامِهَا لَا يُشَارِكُهُ فِي ذَلِكَ مُشَارِكٌ ، سَمِيعٌ ، وَمُبْصِرٌ ، وَمُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ أَزَلِيٍّ مُنَزَّهٍ عَنِ الصَّوْتِ وَالْحَرْفِ .

وَيجِبُ لِلأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الْعِصْمَةُ ، فَلاَ تَقَعُ مِنْهُمْ مُخَالَفَةٌ لِلّهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَكَذٰلِكَ المَلاَئِكَةُ .

وَيَجِبُ لِلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلام تَبْلِيغُ مَا أُمِرُوا بِتَبْلِيغِهِ لِلْخَلْقِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَغَيْرِهَا كَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا فِيهِ مِنَ الحِسَابِ وَالْعِقَابِ وَالصِّرَاطِ وَالمِيزَانِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَالْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَالرُّسُلِ وَمَاوَقَعَ لَهُمْ مَعَ أُمَمِهِمْ .

وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِالْحُورِ الْعِينِ ، وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِالْوِلْدَانِ ، وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِالْأَوْلِيَاءِ . وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِإِسْرَائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِالمِعْرَاجِ أَيْضاً .

وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِعَلَامَاتِ السَّاعَةِ ، أَوَّلُهَا خُرُوجُ المَسِيحِ الدَّجَّالِ ، ثَانِيهَا نُزُولُ سَيِّدِنَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ثَالِثُهَا خُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، رَابِعُهَا خُرُوجُ الدَّابَّةِ ، خَامِسُهَا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . وَمِمَّا يَجِبُ تَجْدِيدُ التَّوْبَةِ .

وَيَجِبُ الْإِيمَانُ وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ .

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ

(قرآن كريم)



مقـــدمة[1]

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وأشهد أن لا إله إلا الله السميع البصير ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله البشير النذير ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فهذا شرح لطيف للعلامة الكامل ، مالك زمانه ، وحجة وقته وأوانه ، الشيخ اسمعيل بن موسى الحامدى ، على العقيدة الصغرى للقطب الشهير : سيدى أحمد الدردير ، رضى الله عنهما ، ونفع بمؤلفيهما ، إنه بذلك حقيق وجدير .

هذا ولما كان مدار معرفة العقائد بعد تدوينها متوقفا على معرفة الحكم العقلى وأقسامه ، والمصنف والشارح رضى الله عنهما لم يتعرضا لذكرهما أحببت أن أذكرهما زيادة للفائدة فأقول وبالله التوفيق :

---

(١) هذه المقدمة من وضع الشيخ عبد العزيز الحامدى نجل المؤلف

الحكم العقلى

حقيقته إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه ، والعقلى نسبة للعقل وذلك لأن الاثبات فى الحكم أو النفى فيه مستند إلى العقل من غير توقف على شىء آخر كالتكرار فى الحكم العادى ، أو الخطاب فى الحكم الشرعى .

أقسامه ثلاثة

واجب ، ومستحيل ، وجائز :

الأول : الواجب وهو ما لا يصدق العقل بعدمه وانتفائه وذلك كاتصاف مولانا تبارك وتعالى بجميع الكمالات على وجه الاجمال واتصافه بالصفات العشرين الآتية على وجه التفصيل .

الثانى : المستحيل وهو مالا يصدق العقل بوجوده وثبوته وذلك كاتصاف مولانا جل وعلا بالنقص إجمالا وبأضداد الصفات الآتية تفصيلا إذ العقل لا يصدق أن من يتصف بالإلهية والربوبية ينعت بنقص بل يحيل ذلك .

الثالث : الجائز وهو ما يصدق العقل بوجوده تارة وبعدمه أخرى كالممكنات بمعنى أن العقل لا يرجح وجودها على عدمها ولا العكس وذلك كبكر مثلا قبل أن يخلقه الله تعالى فانه يستوى عند العقل وجوده وعدم وجوده وأما بعد وجوده فقد ظهر لنا أن قدرة الله تعالى قد تعلقت بايجاده فلا يسعنا إلا أن نصدق بوجوده والله أعلم .

قال المصنف : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أى أؤلف ، وابتدأ بالبسملة اقتداء بالقرآن العظيم ، وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم «كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم» أى مقطوع وناقص البركة ، رواه أبو داود وغيره ، وحسنه ابن الصلاح ، أى كالأجذم ، فهو من باب التشبيه البليغ ، وهو ما حذفت منه أداة الشبه ، كقولك : زيد حمار ، أى كالحمار ،

وشبه النقص المعنوى بالحسى لأن النفوس تدركه سريعا . وقولنا اقتداء : أى تأسيا بالقرآن ، أى بمنزله ، وعبروا به تأدبا .

فان قلت : لم يعبرون بقولهم اقتداء بالقرآن دون غيره من الكتب السماوية مع أنها مبتدأة بها فانها أنزلت على سيدنا آدم ثم رفعت ، ثم من بعده كذلك ، ثم أنزلت على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . قلت : أجيب بأنهم إنما عبروا بذلك لأنه أشرف الكتب المنزلة ، ولم تزل الناس تقتـــدى بالأشرف . وإنما قيد الأمر : أى الفعل بذى البال احترازا عن الأمر غير ذى البال الذى لايهتم به شرعا ، وهو المحقرات كشرب الدخان والزنا مثلا ، والمراد بالبال الحال والشأن . فان قيل : البسملة من الأمور ذوات البال فتحتاج إلى بسملة ، وهكذا فيتسلسل الأمر . أجيب بأن البسملة كما تحصل بركتها لغيرها كذلك يجب أن تحصل بركتها لنفسها كالشاة من الأربعين تزكى نفسها وتزكى غيرها ، أى فتمنع نقصها فى نفسها ، وإنما قدرت المتعلق فعلا ، لأن الأصل فى العمل للأفعال ، ومتأخرا لأن تقديم المعمول يفيد الاختصاص ، وخاصا لأن كل شارع فى شىء ينبغى أن يقدر ماجعلت البسملة مبدأ له . وفائدة ذكر هذه الجملة الشريفة حصول البركة لجميع أجزاء الكتاب .

واعلم أن الباء فى ببسم يحتمل أن تكون للمصاحبة ، فيصير المعنى أؤلف حالة كون تأليفى مصاحبا بسم الله ، ويحتمل غير ذلك .

والمراد بالاسم المسمى : أى مصاحبا لمسمى الله ، وإضافة اسم لما بعده للبيان ، والله علم على الذات الواجب الوجود ، المستحق لجميع المحامد ، أى أن وجوده واجب لذاته بمعنى أن الغير لم يؤثر فيه ، وضعه لنفسه أزلا ، ولم يضعه له أحد من خلقه ، ولم يسم به أيضا . ويقال : إن بعض الجبارين عزم أن يسمى به ابنه فابتلعته الأرض ، وهو عربى عند الأكثر ، وقيل معرب ، وأصله بالعبرانية ، وقيـــل بالسريانية لاها ، فعرب بحذف ألفه الأخيرة

وأدخلت عليه أل ثم فخم . قال بعضهم : وهو اسم الله الأعظم عند المحققين ، لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره ، وقد ذكر فى القرآن فى ألفين وثلاثمائة وستين موضعا ، وإنما لم يستجب لكثير من العوام إذا دعوا به لعدم استجماعهم لشرائط الدعاء التى من جملتها أكل الحلال . والرحمن الرحيم صفتان مشتقتان من الرحمة ، وهى الرقة (١) فى القلب ،وهى تستلزم التفضل والاحسان فهو غايتها ، وهو (٢) المعتقد ، لأن الرقة مستحيلة عليه تعالى .

والأول المنعم بجلائل النعم كما وكيفا ، وجلائلها أصولها كالوجود والايمان والعافية والرزق والعقل والسمع والبصر .

والثانى المنعم بدقائقها : أى فروعها كما وكيفا كالجمال وكثرة زيادة الايمان وسعة الرزق ودقة العقل وحدة السمع والبصر ، وفائدة الاتيان به بعد الأول مع أنه المنعم بجلائل النعم ، فحقيرها أولى ، دفع توهم أن المولى عظيم ينعم بالشىء العظيم دون الحقير ، ولم يذكر المصنف الحمد لة لأن المقصود منها الثناء ، وهو حاصل بالجملة الشريفة ، ولذا ابتدأ جمع أوائل كتبهم بها من غير ذكر حمدلة .

خاتمة

قال النفراوى : روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : من أراد أن ينجيه الله تعالى من الزبانية فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ليجعل الله له بكل حرف جنة من كل واحد .

ثم شرع المصنف فى بيان مايجب على المكلف معرفته فقال ﴿ يجب على المكلف ﴾ أى البالغ العاقل الذى بلغته دعوة النبى صلى الله عليه وسلم حال بلوغه

(١) أى الرأفة

(٢) أى هذا الاستلزام

إن كان إنسيا ، فان كان جنيا فبعد خلقته ، وعبر بالمضارع لكونه أبلغ من الماضى لدلالته على الدوام والاستمرار (١) ، أى يجب وجوبا مستفادا من الشارع كما هو مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة القائلين : إن معرفة الله واجبة بالعقل ، وهم فرقتان :

إحداهما تقول : معرفته واجبة بالعقل والرسل مؤكدون له ، فالعقل عند تلك الفرقة هو المدرك للوجوب ، والموجب الله عندنا وعندهم ، إلا أننا نقول : إدراك ذلك لا يتلقى إلا من الشرع(٢) وهم يقولون : يتلقى من العقل والشرع مؤكد ، وذلك فسق .

والثانية تقول : لا يحتاج إلى الرسل أصلا ، وإرسالهم عبث ، وذلك كفر فتنبه ، وقوله ﴿ معرفة ﴾ فاعل يجب ، وهى الجزم المطابق ، أى الموافق للحق عن دليل ، لا الشك والظن والوهم فانها(٣) لا تكفى فيما طلب من المكلف اعتقاده فى حق مولانا عز وجل ، ولا الجزم الذى لا يطابق فانه لا يسمى معرفة ، بل جهلا كجزم النصارى بالتثليث ، وذلك أن عندهم صفة الوجود ، ويعبرون عنها بالأب ، وصفة العلم ويعبرون عنها بالابن والكلمة ، وصفة الحياة ويعبرون عنها بروح القدس ، والتعبير عن الصفات المذكورة بالأب والابن والكلمة وروح القدس مجرد اصطلاح لهم ، ويسمون هذه الصفات

---

(١) قوله لدلالته: أى المضارع على الدوام والاستمرار: أى التجددى وهو مناسب للمقام لأن وجوب ذلك يتجدد بتجدد المكلفين وقتا بعد وقت لكن دلالة المضارع على ذلك ليست بالوضع بل بالقرينة أى مع غلبة الاستعمال فالقرينة هنا كون التجدد مناسبا للمقام(١) وقال الدسوقى إنها العدول عن الماضى.

(٢) قوله لا يتلقى إلا من الشرع الخ لأن عقولنا لا تدرك الأحكام استقلالا فلا حكم قبل الشرع ولا تكليف بشىء قبل مجيئه اه .

(٣) أى هذه المذكورات اه .

---

(١) ومناسبته للمقام تجدده بتجدد المكلفين .

بالأقانيم ، ويقولون : الاله جوهر واحد مركب منها ، قاتلهم الله . والمجوس بالهين اثنين معتقدين قدمهما النور والظلمة ، فالأول إله الخير(١) والثانى إله الشر(٢) ويولد العالم من امتزاجهما عندهم ، قبحهم الله ، ولعلهم أرادوا بهما خلاف ماعرف .

قال بعضهم(٣) : فاذا قوبل الضوء بالنور أريد بهما ماذكر(٤) ولاالجزم المطابق لاعن دليل فانه يسمى تقليدا ، وقد اختلف فيه فقيل : إيمان المقلد صحيح ، وهو المعتمد إلا أنه يكون عاصيا بتركه معرفة الدليل الاجمالى .

تنبيه : علم من كلام المصنف أن أول واجب على المكلف معرفة الله ، وقيل التوجه إلى الدليل . وقوله ﴿ مايجب لله ﴾ أى ماهو ثابت لذاته أزلا ، وهو شامل للسلوب والمعانى ، والوجوب هنا غير ماتقدم لأن المراد به هنا الثبوت بخلاف الأول ، فان معناه الوجوب الشرعى ، أعنى مايثاب على فعله ويعاقب على تركه ، فبينهما الجناس التام وهو اتحاد اللفظ مع اختلاف معناه ، ولا يرد علينا أن صفات السلوب عدمية ، لأنا نقول : هى ثابتة فى نفس الأمر ، أى لاتقبل الانتفاء بثبوت نقيضها ﴿ ولأنبيائه ﴾ أى ويجب معرفة ماثبت لأنبيائه . جمع نبىء بالهمز من النبأ ، وهو الخبر لأنه مخبر بكسر الباء عن أحكام الله تعالى إن كان رسولا ، وإلا فاخباره لاحترامنا إياه ،

---

(١) ويسمى يزدان اه .

(٢) ويسمى أهرمن اه .

(٣) هو السعد .

(٤) قوله ما ذكر : أى ما تعورف وهو أنهما عرضان لا يقومان إلا بالجسم فلا يمكن قيامها بنفسهما ولاقدمهما ، ويلزم على مذهبهم الفاسد إثبات إله ثالث يفعل فى الممكنات ما ليس خيراً ولا شراً فان نفوا فهم مكابرون معاندون .

وتركه(١) من النبوة بمعنى الرفعة لأنه مرفوع الرتبة ، أو رافع رتبة من اتبع هديه ، وهو إنسان (٢) ذكر حر من بنى آدم سليم مما ينفر طبعا أوحى إليه بأحكام ، فان أمر بتبليغها كان نبيا ورسولا كسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإلا كان نبيا فقط كالخضر عليه السلام على القول بنبوته .

واعلم أن الخضر لقبه ، واسمه إلياس ، وهو غير إلياس المشهور ، يجتمع هو والياس كل ليلة عند الردم الذى بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج ، ويحجان ويعتمران كل عام ، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل ، وطعامهما ذلك اهـ من المناوى على الجامع الصغير .

وإذا عرفت ماتقدم علمت أن النبي لايكون من غير بنى آدم ، وما ورد من - ألم يأتكم رسل منكم - فمعناه : من أحدكم وهو الانس ، فمن قال إن لكل جنس من الحيوانات رسولا فقد كفر ، فلا يكون من الجن ، لأن الاختبار(٣) يكون بارسال الجنس(٤) كما وقع فى القرآن حكاية عنهم(٥) (فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفى ضلال وسعر)ولا من الملائكة لأن حال (٦) الملائكة لايناسب حال الانس ، ولايرد قوله تعالى (الله يصطفى من الملائكة

---

(١) أى الهمز .

(٢) قوله إنسان من النوس والتحرك فيشمل الملائكة والجن .

(٣) قوله لأن الاختبار بالباء الموحدة أى اختبار المرسل إليهم وامتحانهم هل يصدقون ويقولون في حق الرسول إنه كامل أرسله إلينا الله الذى يعلم حيث يجعل رسالته أو لايصدقون لعلوهم بقولهم ما هو إلا مثلنا فلم يختص بالرسالة اهـ

(٤) قوله الجنس أى وإلا قالوا أرسل لنا نبيا من جنسنا لأنهم هم الذين يتصور منهم المشاجرة ظاهراً .

(٥) أى الكفار .

(٦) لأن حالهم مهول مفزع جداً .

رسلا) لأن معناه والله أعلم أنهم رسل إلى أنبياء ليبلغوهم عن الله الشرائع. ولا يكون أنثى لشرف الذكر عليها .

وأما مريم عليها السلام فصديقة بنص القرآن قال تعالى (وأمه صديقة) ولا ممن كان ذا جذام أو برص أو عمى ، ولا رقيقا لشرف الحر عليه ، ولا يرد لقمان لأنه لم يكن نبيا ، بل كان تلميذا ، وقولنا : أوحى إليه ، أى على تمام الأربعين فانها تمام العقل ، أى أوحى الله إليه أحكاما بواسطة جبريل عليه السلام ، والأحكام هى الشرع ، والشريعة ، والدين ، والملة ، فهى متحدة بالذات مختلفة بالاعتبار فمن حيث بيانها لنا على لسان النبى شرع وشريعة والله شارع حقيقة والنبى مجازا ، ومن حيث تديننا بها دين ، ومن حيث إملاؤها على الرسول ملة .

خاتمة

قال العلامة الفاضل عطية فى حاشيته على الجلالين عند قوله تعالى (وما أوتى النبيون) وعدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا كلهم من بنى إسرائيل إلا عشرين ألف نبى . وعدد الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر كلهم من ولد يعقوب إلا عشرين رسولا . ذكر من الرسل فى القرآن خمسة وعشرون ونص على أسمائهم ، وفى رواية عن ابن عباس أن الأنبياء كلهم من بنى اسرائيل إلا عشرة نوحا وهودا وشعيبا وصالحا ولوطا وإبراهيم واسحاق ويعقوب واسماعيل ومحمدا صلى الله وسلم عليهم أجمعين ﴿وملائكته﴾ جمع ملك ، والملك بفتح اللام جسم روحانى أى ذو روح نورانى أى مخلوق من النور لا بواسطة أب ولا أم مثلنا ولا طين كآدم لهم قدرة على التشكلات الحسنة لكن فى غير صورة ملك آخر ﴿الكرام﴾ أى المنزهين عن النقائص كقول النصارى : هم بنات الله فمن نقص واحدا منهم كقول بعض العامة فى أعوان الظلمة إنهم كزبانية جهنم

وفى رجل ذى إخافة لهم إنه كعزرائيل كفر . واعلم أن بعضهم إما راكع دائما وإما ساجد دائما وإما قائم دائما فطاعتهم دائمة فمن كان راكعا لا ينتقل إلى السجود بل باق على ركوعه .

تنبيه : الملائكة ليسوا ذكورا ولا أناثا لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يعتريهم شيء من الأطباع البشرية يفعلون ما أمرهم به مولاهم جل الخالق الصانع ، قال تعالى (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) .

ثم شرع رحمه الله فى بيان ما يجب لله بقوله ﴿ فيجب لذات الله عشرون صفة ﴾ أى تفصيلا والواجب اجمالا أن نعتقد أنه متصف بكل كمال منزه عن كل نقص ، والصفة تطلق على المعنى الوجودى القائم بالموصوف كاتصاف زيد بكونه جميل الوجه وهذا ليس مرادا هنا ، وتطلق على ماليس بذات وهو المراد هنا لأن هذه العشرين منها ماهو وجودى كالارادة ، ومنها ماهو حال كالكون مريداً ، ومنها ماهو عدمى كالقدم والبقاء ووجوب العشرين كما ذكره المصنف مبنى على القول بثبوت الأحوال ﴿ وهى ﴾ أى العشرون صفة .

أولها ﴿ الوجود ﴾ وهو صفة نفسية(١) قائمة بذاته تعالى لا تقبل الانتفاء أزلا وأبدا أى لا يمكن عدمه وفى عده من الصفات تسامح(٢) لأن الصفة أمر زائد على الذات كما علمت لا نفس الذات ، ووجه التسامح كما قال الهدهدى على

---

(١) قوله نفسية ، أى لا تتحقق الذات بدونها خارجا كالتحيز للجرم فان الجرم لا يتحقق خارجا بدونه بخلاف القدرة مثلا . اه

(٢) قوله تسامح ، أى تجوز بأن أطلق اللفظ على غير ماوضع له لعلاقة المشابهة من حيث الوصف فى اللفظ فهو استعارة مصرحة وقوله ووجه التسامح أى وعلاقة المجاز إلى آخره اه من حاشية الشرقاوى بتصرف .

السنوسية أنه يقال ذات الله موجودة فتصفها بالوجود لفظا اﻫ وقيل هو زائد على الذات وعلى هذا القول فليس عده من الصفات تسامحا ، وهو أول الصفات السلبية أى التى دلت على نفى ما هو غير لائق به سبحانه وتعالى وهو عدم الأولية للوجود كما فى صفات المعانى أو الثبوت كما فى المعنوية .

﴿و﴾ ثانيها ﴿القدم﴾ أى أنه ليس لأوله بداية ، وقدمه تعالى لذاته لا لعلة اقتضت وجوده تنزه مولانا عن ذلك ، وأما فى حق الحوادث كما فى قولهم : جامع قديم مثلا فهو عبارة عن طول مدة وجوده وإن كان مسبوقا بالعدم ، وأقل زمان يوصف الحادث فيه بأنه قديم حول . وتقرير الدليل فى الأول أعنى الوجود : لو لم يكن واجب الوجود لكان جائزه ولو كان جائزه لكان حادثا ولو كان حادثا لافتقر الى محدث ومحدثه إلى محدث وهكذا فيلزم الدور أو التسلسل وهما(١) محالان . وتقرير الدليل فى الثانى أعنى القدم أن تقول إنه لو لم يكن قديما لكان حادثا ولو كان حادثا لافتقر الى محدث فيلزم الدور أو التسلسل ، والدور هو توقف كل من المحدث بالكسر والمحدث بالفتح على الآخر كتوقف وجود زيد على خالد وتوقف خالد على زيد ، تعالى الله عن ذلك . والتسلسل أن يوجد زيد عمروا ويوجد عمرو بكرا وبكر خالدا وهكذا إلى ما لا نهاية ؛ تنزه مولانا عن ذلك أيضا ، أما الدور فظاهر ، وأما التسلسل فقد قال المؤلف فى الخريدة البهية ما نصه : فلأنه أى التسلسل يؤدى إلى وجود آلهة لا نهاية لها وكل متصف بالحدوث والعجز والافتقار وهو باطل قطعا لأنه مناف لمقام الألوهية لأن المولى غنى عن كل ماسواه والعاجز الفقير الذليل لا يصح أن يكون إلها اﻫ فما أدى إلى محال وهو عدم الوجود والقدم محال إذ استحالة اللوازم أعنى الدور والتسلسل

---

(١) وهما أى الدور والتسلسل

تقتضى استحالة الملزومات أى عـــدم الوجود والقدم فثبت القدم وهو المطلوب فافهم ولا تغفل وادع لى بالمغفرة .

﴿و﴾ ثالثها ﴿البقاء﴾ قال الله تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وعطفه على القدم من عطف اللازم على ملزومه لأن من وجب قدمه استحال عدمه(١) ومن استحال عدمه وجب بقاؤه وهو عدم الآخرية فمعنى أن الله واجب له البقاء أنه لا آخر لوجوده ، والدليل على ذلك أنه لو لحقه العدم بالعين المهملة لانتفى عنه القدم بالقاف المثناة من فوق وانتفاء القدم عنه محال لأنه لو لم يكن قديمـا لكان حادثا ولو كان حادثا لافتقر إلى محدث فيلزم الدور أو التسلسل ، وكلاهما باطل .

﴿و﴾ رابعها ﴿المخالفة للحوادث﴾ جمع حادث وهو الموجود بعد العدم وهو الجواهر والأعراض والأول ماقام بنفسه والثانى بغيره وذكره المخالفة بعد الثلاثة قبلها من ذكر اللازم بعد الملزوم(٢) إذ يلزم ممـا تقدم أن يكون مخالفا للحوادث . يعنى أن الله تعالى لم يكن له ممـاثل فليس الله جرما ولا عرضا حتى يملأ فراغا من الأرض أو يقوم بغيره وليس له عين ولا أذن ولا سمع ، ولا بصر ، ولا رأس ، ولا رجل إلى غير ذلك وليس فوق السماء ولا فى الأرض ، ولا فى العالم ، ولا تحتـــه ، ولا فوقه . وأما قوله تعالى فى سورة الزخرف (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) فمعناه والله أعلم وهو الذى فى السماء قهره وعظمته وفى الأرض كذلك ، وليس المعنى أنه مستقر فى السماء أو فى الأرض ، وليس تعالى نورا ، وأما قـــوله تعالى فى سورة النور (الله نور السموات والأرض) فمعناه والله أعلم منورهما

(١) أى باتفاق الطوائف جميعها اه عبد العزيز

(٢) اعلم أنه لخطر هذا الفن لم يكتف فيه بلازم عن ملزوم ولا بملزوم عن لازم فلا بد من ذكر الصفات مصرحا بها اه عبد العزيز

بقدرته، وأما قوله تعالى فى سورة طه (الرحمن على العرش استوى) فمعناه والله أعلم أنه مستول بقهره وعظمته وسلطانه، وليس المعنى أنه جالس على العرش لأن هذا من صفات الحوادث وهو محال فى حقه تعالى، وبالجملة فكل ماخطر ببالك من صفات الحوادث فالله بخلاف ذلك. وتقرير الدليل أنه لو لم يكن مخالفا للحوادث لكان مماثلا لها ولو كان مماثلا لها لكان حادثا مثلها ولو كان حادثا لافتقر إلى محدث وافتقر محدثه إلى محدث فيلزم الدور أو التسلسل وكلاهما محال، وإذا استحال كل من الدور والتسلسل استحال مايستلزمهما وهو افتقار المحدث إلى محدث فتنبه.

﴿و﴾خامسها ﴿القيام بالنفس﴾ أى أن الله سبحانه وتعالى قائم بذاته وليس قائما بأمر زائد على الذات بمعنى أنه ليس مفتقرا إلى محل أى ذات يقوم بها أو مخصص: أى موجد يوجده، لأن المحتاج إلى المخصص إنما هو من يقبل العدم ومولانا سبحانه وتعالى مستحيل عليه العدم، وقولنا ليس مفتقرا إلى محل يقوم به أى ذات أخرى كالصفة تقوم بموصوفها يقتضى أنه عزوجل ذات لاصفة، وقولنا أو مخصص يقتضى أن ذاته المنزهة ليست كسائر الذوات لأنه غنى عن جميع الخلق والخلق مفتقرة اليه قال الله تعالى (ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد) وقال تعالى (الله الصمد) ومعنى الصمد هو الذى يصمد اليه عند الحوائج ولا شك أن كل شىء صامد مفتقر اليه وهو غنى غنىمطلقا بمعنىأنه لميحتج لشىء دون شىء أى أنه مستغن عن جميع خلقه. وتقرير الدليل أن تقول: الله جل جلاله قائم بنفسه إذ لم لو يكن قائما بنفسه لاحتاج إلى محل ولو احتاج إلى ذلك لكان صفة والصفة لاتتصف بصفات المعانى ولا المعنوية فبطل كونه صفة، ولو احتاج إلى مخصص لكان حادثا ولو كانحادثا لافتقر إلى محدث فيلزم الدورأو التسلسل وهما محالان فبطل كونه محتاجا إلى مخصص.

﴿و﴾سادسها ﴿الوحدانية﴾ قال الله تعالى (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) والوحدانية فى حقه تعالى هى عدم ثان له[١] فى ذاته وصفاته وأفعاله فوحدانية الذات تنفى عنه الكم المتصل فى الذات، وهو عبارة عن كون ذاته مركبة من أجزاء كالحوادث والكم المنفصل عنها بمعنى وجود ذات أخرى كذاته، ووحدانية الصفات تنفى عنه الكم المتصل والمنفصل عنها فمعنى نفى اتصال الصفات بالذات نفى أن يكون له قدرتان وعلمان وإرادتان وهكذا إلى آخر الصفات، ومعنى نفى الانفصال عنها عدم ثبوت صفة لغيره كصفته تعالى كأن يكون لغيره تعالى قدرة كقدرته ، ووحدانية الأفعال تنفى عنه الكم المنفصل فى الأفعال، وهو ثبوت فعل لغيره كفعله وتنفى عنه الكم المتصل فيها إن صور بأن غيره تعالى يشاركه فى فعل منها أما إن صور بتعدد أفعاله كالخلق والرزق والاماتة والاحياء وغير ذلك فذلك ثابت لا ينفى، وبهذا الأخير تكون الكموم ستة والمراد بالكم التعدد كما علمت فتنبه ولا تغفل وادع لى بالعفو والغفران .

خاتمـــة

حيث علمت أن الأفعال كلها لله وليس لشىء من الحوادث تأثير فى فعل من الأفعال تعلم أن الأسباب العادية كالسكين لا تأثير لها ، فمن اعتقد تأثيرها بطبعها أعنى القطع فلا خلاف فى كفره ، ومن اعتقد عدم تأثيرها به بل بقوة جعلها الله فيها بحيث لو نزعت منها انعدم[٢] فذلك فاسق لا كافر على القول الأصح ، ومن اعتقد عدم إمكان التخلف بأن اعتقد أن القطع

---

(١) والمراد بنفى الثانى نفى التعدد مطلقا والاقتصار على نفى الثانى لأنه لازم لكل عدد فافهم اهـ عبد العزيز .

(٢) (قوله انعدم) أى التأثير اهـ .

لا يتخلف عن السكين فذاك جاهل مبتدع ، وربما أداه جهله إلى الكفر أعاذنا الله منه ، لأنه يلزم من اعتقاده ذلك عدم التصديق بمعجزات الأنبياء ، كما وقع لسيدنا إبراهيم من عدم قطع السكين ، حين أراد ذبح ولده إسماعيل عليه السلام فداء يوم الأضحية ، فهذا معجزة من معجزاته عليه السلام ، وعدم إحراقه عليه السلام حين رميه فى النار التى أوقدها النمروذ له .

وأما الموحد الناجى فهو من اعتقد أنها لا تؤثر بذاتها ، وأنه يمكن تخلفها عن القطع . والدليل على وجوب الوحدانية له تعالى : أنه لو لم يكن واحداً بأن كانت ذاته العلية مركبة من أجزاء ، أو كان لها نظير ، أو اتصفت ذات بمثل صفاتها ، أو كان ثم موجود سواها له فعل كفعلها لزم أن لا يوجد شىء من العالم للزوم عجزه حينئذ . لكن عدم وجود شىء من العالم باطل بالمشاهدة فثبت المطلوب وهو ثبوت الوحدانية والله أعلم .

﴿و﴾ سابعها ﴿الحياة﴾ وهى صفة قديمة وجودية قائمة بذاته تعالى لا تتعلق بموجود ولا معدوم ، بمعنى أنها لا تطلب أمراً زائداً على قيامها بالذات ، وهى شرط فى جميع الصفات ، يلزم من عدمها عدم جميع الصفات ، ولا يلزم من وجودها وجود الصفات ولا عدمها ، كالوضوء : فانه يلزم من عدمه عدم الصلاة ولا يلزم من وجوده وجود الصلاة ولا عدمها ، وأل فيها للعهد أى الحياة المعهودة وهى القديمة .

والدليل على وجوب اتصافه تعالى بالحياة : أنه لو انتفت عنه الحياة لم يوجد شىء من المخلوقات ، وعدم وجود شىء من المخلوقات باطل بالمشاهدة ، فبطل ما أدى إليه وهو عدم الحياة وثبت المطلوب وهو الحياة . قال تعالى : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) . وقال تعالى : (وعنت الوجوه للحى القيوم) والله أعلم .

﴿و﴾ ثامنها ﴿العلم﴾ اعلم أن العلم يتعلق بكل واجب وجائز ومستحيل ،

بمعنى أن جميع الأمور للبارى ظاهرة متضحة له أزلا وأبدا من غير أن يتأمل فى ذلك ، لا يمكن أن يكون فى نفس الأمر على خلاف ما علمه بل موافقاً له . قال الله تعالى : (إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء) ، وقولى يتعلق بجميع الخ . المراد بالتعلق طلب الصفة أمراً زائداً على قيامها بمحلها ، فكل صفة تستلزم ذاتاً تقوم بها ، فان اقتضت أمراً زائداً على ذلك كأن تتعلق بشىء كالقدرة المتعلقة بالايجاد والاعدام والارادة بتخصيص ما يوجد فهى متعلقة ، بخلاف الحياة فليست متعلقة لأنها لا تطلب أمراً زائداً على محلها

(تنبيه) إذا علمت ما تقدم تعلم أن الله سبحانه وتعالى يعلم دبيب النملة فى الصخرة الصماء فى الليل المظلم ، وأن جميع الأشياء لم يستأنفها علماً بل يعلمها أزلا ، كليها كحيوان ناطق ، وجزئيها كزيد وعمرو وخالد ، وكفرت الفلاسفة حيث أنكروا علمه تعالى بالجزئيات ، كما كفرت بانكارهم حدوث العالم وحشر الأجساد ، ونظم بعضهم الثلاثة فقال :

كفر الفلاسفة العدا إذ أنكروا ... لثلاثة وهى حق مثبته
علم بجزئى حدوث عوالم ... حشر لأجساد وكانت ميته

واعلم أن شؤونه فى خلقه أمور يبديها أى يظهرها ، ولا يبتديها بمعنى أنه لم يستأنفها علماً خلافاً للقدرية القائلين إن الله يستأنف علم الشىء حين وجوده لا قبله .

(فائدة) سئل ابن الشجرى وهو جالس على كرسيه للوعظ يقرأ تفسير قوله تعالى : (كل يوم هو فى شأن) . فقيل له : ما شأن ربك الآن ؟ فسكت وبات مهموماً لعدم معرفته جواب ذلك السؤال ، فرأى المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فأخبره المصطفى بأن السائل له الخضر وأنه سيعود إليه ويسأله ، فقل له : أمور يبديها ولا يبتديها ، أى لا يستأنفها ولا يقدرها ، لأن التقدير فى سابق علمه ، يخفض أقواماً أى يعذبهم ، ويرفع أقواماً آخرين أى بالثواب

العظيم . فلما أصبح عاد وسأل فأجابه . فقال له : صلّ على من علمك وانصرف سريعاً . ولك أن تقول فى تقرير الدليل على وجوب اتصافه بالعلم : الله متصف بالعلم ، إذ لو لم يتصف به لاتصف بضده ، لكن اتصافه بضده محال ، إذ لو اتصف بضده وهو الجهل لما اتصف بالارادة لعدم علمه بما وقع مع أنه لا يقع فى ملكه إلا ما أراده ، ولو لم يتصف بالارادة لما اتصف بالقدرة ، ولو لم يتصف بالقدرة لاتصف بالعجز ، ولو اتصف بالعجز لم يوجد شىء من المخلوقات وهو باطل فما أدى إليه أى وهو اتصافه بالجهل باطل. ولك أن تقول فى دليل اتصافه به قوله تعالى (والله بكل شىء عليم) وقوله (عالم الغيب والشهادة) .

(فائدة) ليس للعلم إلا تعلق تنجيزى قديم على الصحيح ، والتنجيزى القديم تعلقه بالشىء بالفعل أزلا وليس لعلمه تعلق صلوحى قديم ، لأن معناه أن علم الله صالح للعلم ، أى وما هو صالح للعلم ليس بعالم ولا تعلق تنجيزى حادث لأن معناه تعلق العلم بالشىء الآن ، وهذا يستلزم سبق الجهل وهو محال ، والله أعلم .

﴿ و ﴾ تاسعها ﴿ الارادة ﴾ وهى صفة أزلية وجودية قائمة بذاته تعالى ، يخصص بها الممكن ببعض ما يجوز عليه ، وهو الممكنات الست المنظومة فى قول بعضهم :

الممكنات المتقابلات   وجودنا والعدم الصفات
أزمنة أمكنة جهات   كذا المقادير روى الثقات

ومعنى هذين البيتين أن تقول : أما الوجود فى قوله وجودنا فنحو زيد مثلا قبل وجوده جائز عليه أن يبقى على عدمه وأن يوجد ، فمن خصصه بالوجود بدلا عن العدم هو الله بارادته ، وقوله : والصفات معناه أن عمراً مثلا كان يجوز عليه قبل وجوده أن يكون أحمر وأن يكون أبيض وأن يكون أسود ، فالذى أوجده بصفته التى هو عليها من كونه أحمر مثلا هو الله الباقى

بارادته ، وكان يجوز عليه أن يكون قصيراً أو طويلا أو ربعة أى ليس قصيراً ولا طويلا بل وسطاً ، فالذى خصصه بكونه قصيراً مثلا هو الله . وقوله أزمنة أى أنه كان يجوز على خالد مثلا أن يوجد فى زمن سيدنا إبراهيم الخليل مثلا ، فالذى خصصه بوجوده فى زمننا مثلا هو الله بارادته . وقوله أمكنة أى أنه كان يجوز عليه أن يوجد فى مصر أو الشام مثلا ، فالذى خصصه بالوجود فى مصر مثلا دون غيرها هو الله بارادته . وقوله جهات أى أنه كان يجوز عليه أن يوجد فى جهة فوق كالسماء أو جهة تحت كالأرض ، فالذى خصصه بالوجود فى الأرض هو الله بارادته . وقوله المقادير أى أنه كان يجوز عليه أن يكون ثلاثين ذراعاً أو عشرين مثلا ، فالذى خصصه بما وجد عليه هو الله بارادته .

(فائدة) معنى كونها متقابلات أنها متنافيات ، فالوجود يقابل العدم ، وبعض الصفات يقابل آخر ، فكونه أحمر مثلا يقابل كونه أسود ، وبعض الأزمنة يقابل بعضاً ، فكونه فى زمن الطوفان مثلا يقابل كونه فى زمن التابعين ، وبعض الأمكنة تقابل بعضاً ، فكونه فى مصر يقابل كونه فى المدينة مثلا ، وبعض الجهات يقابل بعضاً ، فكونه فى جهة المغرب يقابل كونه فى جهة المشرق ، وبعض المقادير يقابل بعضاً ، فكونه طويلا يقابل كونه قصيراً .

واعلم أن الارادة لا تتعلق بالواجب كذات الله وصفاته ، ولا بالمستحيل كشريك له تعالى ، وأن الخير والشر لا يقعان إلا بارادته تعالى .

قال نجم الدين : وقد خالفت المعتزلة فى ذلك وقالوا : إنه أراد من الكافر الايمان لا الكفر ، ومن العاصى الطاعة لا المعصية ، زعماً منهم أن إرادة القبيح قبيحة . فعندهم أن الشر يقع من العباد على خلاف إرادة الله تعالى ، وقد دلت الآيات على خلاف قولهم كقوله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه

يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا) ، وقوله تعالى : (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) ثم قال : وقول المعتزلة إن إرادة القبيح قبيحة هو بالنسبة إلينا ، أما الله تعالى فليست قبيحة بالنسبة إليه ، فانه مالك الأمور على الاطلاق ، يفعل ما يشاء ويختار ، ولا يسئل عما يفعل . فان قلت مامعنى قوله تعالى : (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) فانه يدل على قول المعتزلة : إن السيئة ليست من الله .

فالجواب أن معناه لا يضاف إلى الله تعالى عند الانفراد ، لكن لا يجوز نسبة الشر إليه بأن يقال أراد الله زنا عمرو وكفره مثلا إلا فى مقام التعليم ، فلا ينسب لارادته إلا كل خير ، وإن كان فى الحقيقة أن كلا منهما واقع بارادته قال تعالى (قل كل من عند الله) .

واعلم أن إرادة الله تعالى مغايرة لأمره لأنه قد يأمر ويريد كايمان أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فانه أراده منه وأمره به وقد لا يأمر ولا يريد ككفره ، وقد لا يأمر ولا يريد كايمان أبى جهل فانه أمره به ولم يرده منه ، وقد يريد ولا يأمر ككفره . والدليل على ثبوت الارادة له تعالى أن تقول : الله تعالى متصف بالارادة ؛ إذ لو لم يتصف بها لاتصف بضدها لكن اتصافه بضدها محال ؛ إذ لو اتصف بضدها وهو الكراهية لما كانت له قدرة لكن ذلك محال ؛ إذ لو كان كذلك لما وجد شىء من الحوادث لكن عدم وجود شىء من الحوادث باطل فبطل ما أدى إليه وهو الكراهية وثبت ضدها وهو الارادة فتنبه وادع لى بالمغفرة . وأن تقول (١) فى دليل اتصافه بها قوله تعالى : (إن الله يفعل ما يريد) والله أعلم .

﴿ و ﴾ عاشرها ﴿ القدرة ﴾ اعلم أن القدرة كالارادة فى التعلق فكما أن

---

(١) عطف على قوله : أن تقول ـ الله تعالى الخ اهـ .

الإرادة تتعلق بالممكنات دون الواجبات والمستحيلات فكذلك القدرة ، وهى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى وتؤثر فى إيجاد الممكن وإعدامه فكل ما أراد الله وقوعه أوجده بقدرته ، وقولى دون الواجبات والمستحيلات أى لأنه يلزم على تعلقهما(١) بهما(٢) إعدامهما(٣) أنفسهما بل وإعدام الذات العلية ، ويلزم أيضا إثبات الألوهية لمن لا يقبلها من الحوادث وسلبها عمن تجب له وهو مولانا جل وعز . قال صاحب السنوسية فى شرحه عليها : وأى نقص وفساد أعظم من هذا اه : أى فيجب استحالته لوجود الأدلة على وجود الله وصفاته .

تنبيه : التأثير لله لا للقدرة ، ومن اعتقد تأثيرها كفر . والدليل على ثبوت القدرة له تعالى أن تقول : الله عز وجل متصف بالقدرة ، إذ لو لم يتصف بها لاتصف بضدها وهو العجز لكن اتصافه بضدها محال ، إذ لو اتصف بضدها لما وجد شيء من الحوادث لكن عدم الوجود محال فما أدى إليه وهو العجز محال ، ولك أن تقول فى الدليل على ثبوتها قوله تعالى : (والله على كل شيء قدير)

خاتمـــة

للقدرة والارادة تعلقان أحدهما صلوحى قديم في كل منهـــما ، ومعناه طلب الصفة أمرا زائدا بعد قيامها بمحلها أو صحة الايجاد والاعدام فى القدرة وصحة التخصيص فى الارادة . والثانى تنجيزى حادث ، ومعناه صدور الممكنات عن القدرة والارادة ، وأثبت بعضهم للارادة تعلقا تنجيزيا قديما ، وهو بمعنى قصد الله أزلا الحالة التى يكون عليها الممكن من وجود أو عدم ، والله أعلم .

---

(١) (قوله تعلقهما) أى الارادة والقدرة اه مؤلف .

(٢) (قوله بهما) أى الواجب والمستحيل اه مؤلف .

(٣) (قوله إعدامهما) أى القدرة والارادة

﴿و﴾ حادى عشرها ، وثانى عشرها ﴿ السمع والبصر ﴾ اعلم أن السمع والبصر هما صفتان أزليتان ينكشف بهما جميع الموجودات انكشافا تاما والانكشاف بأحدهما يغاير الانكشاف بالآخر ، وانكشاف العلم مغاير لهما ، ولهما ثلاث تعلقات . تنجيزى قديم وهو تعلقهما أزلا بذات مولانا وصفاته ، وصلوحى قديم بمعنى أنهما صالحان لأن يتعلقا بكل جائز قبل وجوده ، وتعلق تنجيزى حادث ، وهو تعلقهما بالموجود بعد وجوده . وقولى ينكشف بهما جميع الموجودات : أى سواء كان قديما كذاته تعالى وصفاته أو حادثا كجميع الحوادث ، وليس سمع الله بأذن ولا صماخ ، فسبحان من لا يشغله ما يبصره عما يسمعه ولا ما يسمعه عما يبصره ، أحاط علمه بالمسموعات والمبصرات من غير سبقية إدراك باحدى الصفتين على الأخرى . ودليل وجوب اتصاف المولى بهما قوله تعالى : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) وقوله تعالى : (إننى معكما أسمع وأرى) وفى الحديث « إنكم لا تدعون أعمى أصم ولكن تدعون سميعا بصيرا » والله أعلم .

﴿و﴾ ثالث عشرها ﴿ الكلام ﴾ اعلم أن الكلام فى حقه تعالى هو صفة أزلية ليست بحرف ولا صوت ولا تقبل العدم ولا التأخير ولا التقديم ولا السكون ولا الحركة ولا الاعراب ولا البناء ولا السكون لأنه تعالى لم يزل متكلما ولا يزال ، إذ لو جاز أن يسكت عن كلامه لجاز أن يتصف كلامه بالعدم وذلك يوجب حدوثه إذ لا معنى للسكوت إلا انعدام الكلام وهو من صفات الحوادث ، تنزه مولانا القديم عن ذلك ، وهى غير القرآن الذى نقرؤه إن كان يطلق عليه كلام الله ، وتدل تلك الصفة على الواجبات كذات الله تعالى وعلى المستحيلات كالشريك والجائزات كالحوادث ، وفى قولى ليس بحرف ولا صوت رد على الكرامية الذين يقولون إن كلامه عرض من جنس الأصوات والحروف إلا أنه قائم بذاته تعالى

خاتمـــة

كلام الله لموسى على الجبل كان بالكلام النفسى على التحقيق عند الأشاعرة وبعض الماتريدية خلافا للمعتزلة والبعض الآخر من الماتريدية ، فتقسيم الكلام إلى أمر ونهى كقوله تعالى فى سورة المزمل : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقوله فى سورة الاسراء (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة) إنما هو لتلك المدلولات التى دل عليها الكلام الحسى ، وأما الصفة القديمة فيستحيل انقسامها لأنها لا تقبل التأخير ولا التقديم كما علمت . ودليل وجوب اتصافه تعالى بالكلام قوله : (وكلم الله موسى تكليما) وما أخرجه الطبرانى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « أوحى الله إلى موسى أنى جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامى وعشرة آلاف لسان حتى أجبتنى » .

واعلم أنه ليس معنى قوله تعالى (وكلم الله) الخ أنه ابتدأ الكلام له بعد أن كان ساكتا ولا أنه بعد ما كلمه انقطع كلامه وسكت ، وإنما المعنى كما قال العارف العدوى فى حاشيته على الهدهدى : أنه أزال بفضله المانع عن موسى عليه السلام وخلق له سمعا وبصرا حتى أدرك كلامه القديم ثم منعه بعد ورده إلى ما كان قبل سماع كلامه .

ولما أنهى الكلام على صفات المعانى أخذ يبين الصفات المعنوية وهى الرابعة عشر والخامسة عشر والسادسة عشر والسابعة عشر والثامنة عشر والتاسعة عشر والعشرون بقوله : ﴿ وكونه تعالى حيا وعليما ومريدا وقادرا وسميعا وبصيرا ومتكلما ﴾ (١)

---

(١) قوله وكونه تعالى حيا . اعلم أن الكينونة صفة ثابتة فى نفسها قائمة بالذات لازمة فعندنا صفتان إحداهما وجودية وهى الحياة والثانية ثبوتية لا يمكن رؤيتها وهى الكون حيا وهكذا يقال فى كونه عليما ومريداً اه مؤلف

اعلم أنه لمـا كانت الصفات المعنوية لازمة لصفات المعانى أخرها عنها لأن كونه حيا ملازم لصفة الحياة وكونه عليما ملازم لصفة العـلم وهكذا يقال فى بقية الصفات ، ولك أن تقول أخرها عنها لـكونها مرتبة عليها فى التعقل(١) إذ تعقل العالمية مثلا بعد تعقل قيام العلم بالذات .

وعد علماء التوحيد الصفات المعنوية مبنى على ثبوت الأحوال ، أى شأنه وحاله أن يكون عليما الخ ، أما إن قلنا بنفى الأحوال وأنه لا واسطة بين الوجود والعدم كما هو مذهب الأشاعرة فالثابت صفات المعانى السبع ، أما هذه فعبارة عن قيامها بالذات وليس لها ثبوت خارج عن الذهن بل هى أحوال وصفات واجبة للذات فمتى اتصفت(٢) الذات بشىء ممـا تقدم لازمها واحد من هنا فالحياة يلازمها كونه حيا وهكذا . ودليل تلك الصفات هو دليل الصفات المتقدمة بعينه وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفيا .

(تنبيه) صفات الذات زائدة على الذات قائمة بها لازمة لها لزوما لا يقبل الانفكاك فهى دائمة الوجود مستحيلة العدم فهى حى بحياة عالم بعلم قادر

---

(١) (قوله مرتبة عليها فى التعقل) أشار الشيخ بذلك إلى أن معنى قول علماء الفن : إنها معللة الخ أن المراد بالعلة التلازم فليس المراد به حقيقته وهى إفادة العلة معلولها الثبوت بحيث تـكون المعانى مؤثرة فى المعنوية كتأثير حركة الأصبع فى حركة الخاتم بخلاف التلازم فانه كما يعقل بين الممكنين من غير تأثير لأحدهما فى الآخر كالجوهر والعرض يعقل بين الواجبين كما هنا . اهـ عبد العزيز بتصرف من الشرقاوى .

(٢) (قوله فمتى اتصفت الخ) اعلم أن الـكون المذكور واجب اعتقاده على مذهب أهل السنة والمعتزلة ، ومن أثبت الأحوال ومن نفاها ، والخلاف إنما هو هل كونه صفة ثابتة زائدة على المعانى أم لا بل هو أمر اعتبارى اهـ . من الشرقاوى بتصرف . عبد العزيز

بقدرة وهكذا ، ولا يقال لها غير الذات لأنها ليست منفكة عنها بل لازمة لها ، ولا يقال لها أيضا عين الذات لأنها صفات ، فعلى هذا لا يقال لها عين الذات ولاغير الذات . قال صاحب الجوهرة :

ثم صفات الذات ليست بغير أو بعين الذات

أى ليست هى غير الذات ولا عينها فينبغى الحرص على هذه المسئلة .

خاتمة

قال العلامة الدسوقى فى حاشيته عند قول المصنف ثم سبع صفات تسمى صفات معنوية ملازمة الخ اعلم أن التحقيق نفى هذه المعنوية وعدم ثبوتها لأن الحق نفى الأحوال ، وإذا كان كذلك فكان الأولى للمصنف تركها كما ترك الادراك للخلاف فيه . فان قلت كيف يكون الحق نفيها مع أن منكرها يكفر . فالجواب إنالكافر إنما هو نافيها المثبت لضدها كالنافى لكونه عالما وهو مثبت لكونه جاهلا . وأما النافى لأن يكون له صفة قديمة يقال لها الكون عالما ومثبتا لانكشاف الأشياء له أزلا بذاته فلا ضرر فى ذلك . وأما صفات الذات فنفى زيادتها على الذات مع إثبات أحكامها فموجب للفسق فقط ، وأما نفيها مع إثبات أضدادها فهو كفر اه كلامه فاحفظه فانه كلام نفيس ، والله أعلم

﴿ فهذه ﴾ المذكورات من الوجود إلى هنا ﴿ عشرون صفة ﴾ الصفة ﴿ الأولى ﴾ منها وهىالوجود ﴿ صفة نفسية ﴾ حقيقة الصفةالنفسيةهى الحال أى الصفة الواجبة الثابتة للذات على طريق الوجوب مادام الذات غير معللة بعلة كالتحيز للجرم فانه واجب للجرم ما دام الجرم ، وقولى غير معللة بعلة خرج به الحال المعنوية ككون الذات حية فانها معللة بقيام الحياة

بالذات ، وأما العلم والقدرة فليستا من الصفات النفسية ولا المعنوية لأن هاتين أحوال ، والحال ليست موجودة فى نفسها ولا معدومة ، وقوله الوجود صفة نفسية أى عند من يجعله زائدا على الذات ، ونفسية نسبة إلى النفس أى الذات ، والصفة النفسية هى التى لا تعقل الذات بدونها وهى صفة يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها ﴿والخمسة بعدها سلبية﴾ وصفات السلوب منسوبة إلى السلب بمعنى النفى لأن كل واحد منها سلب عن الله أمرا لا يليق به جل جلاله ، فقوله القدم صفة نفت عن الله سلب أولية الوجود ، وكذا يقال فيما بعده ، والخمسة هى القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية ﴿والسبعة بعدها[1] صفات معان﴾ أى والصفات السبع بعد الخمس ، وهى الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام تسمى صفات معان ، ومرادهم بها ما لها وجود فى نفسها سواء كانت حادثة كبياض الجرم مثلا أو قديمة كعلمه تعالى وقدرته فكل صفة موجودة فى نفسها تسمى صفة معنى فى الاصطلاح فان كانت غير موجودة فى نفسها وواجب اتصافها بالذات كالوجود[2] فهى نفسية ﴿والتى بعدها معنوية﴾ أى والصفات المعنوية هى ما ذكرت بعد صفات المعانى ، وهى

---

(١) أى عند الأشاعرة . وأما عند الماتريدية ، فزادوا صفة ثامنة سموها التكوين ، وهى صفة الفعل عند الأشاعرة ، فعند الماتريدية هى صفة قديمة قائمة بالذات بها الايجاد والاعدام زائدة على القدرة وغيرها من بقية الصفات فان تعلقت بالحياة سميت إحياء وهكذا ، فوظيفته القدرة عندهم تهيئة الممكن وجعله قابلا للتأثير فيه ووظيفته التكوين إبرازه . والخلاصة أن التعلق التنجيزى للقدرة عند الاشاعرة هو تعلق لصفة التكوين عند الماتريدية اه عبد العزيز .

(٢) الظاهر ووجب اتصاف الذات بها كالوجود الخ

كونه تعالى حيا وعليما ومريدا وقادرا وسميعا وبصيرا ومتكلما ، فالاتصاف بها فرع عن الاتصاف بالمعانى فان اتصاف كونه عالما لا يصح إلا إذا قام به العلم وهكذا إلى آخر بقية الصفات فمن هنا صارت صفات المعانى عللا لهذه بمعنى أنها ملزومة لها فلهذا نسبت الصفات المعنوية إليها ، وأيضا هى سبع مثلها ، والواو فيها بمعنى الألف التى فى المعانى ، والله أعلم ﴿ فهو سبحانه وتعالى واجب الوجود ﴾

اعلم أن التسبيح معناه التنزيه ، يقال : سبح زيد الله بمعنى نزهه (١) عن الأمور التى لاتليق به ، وهو من أحب الكلام إلى الله لقوله صلى الله عليه وسلم كما فى الجامع الصغير من رواية الامام أحمد ومسلم « أحب الكلام إلى الله أن تقول : سبحان الله وبحمده » اه : أى لتضمنها تنزيهه تعالى عن كل مايستحيل عليه ، ويلزم من استحالة النقائص عليه وصفه بكل كمال ، وقوله : واجب الوجود أى أن وجوده واجب لذاته ، أى أنه لم يخلقه أحد ولم يؤثر فيه لأنه هو الذى قامت الأدلة على كونه هو الخلاق الباقى ، ولأنه لو لم يكن موجوداً لما وجد أحد من الخلائق وعدم وجودهم باطل ، ولابد للخلائق من صانع ، وهو الله تعالى .

خاتمة

ينبغى للانسان أن ينظر إلى أحوال نفسه ، أى ذاته لا روحه ، لأنه لااطلاع لنا عليها : من سمع وبصر وكلام ، وطول وعرض ، ورضى وغضب ، وحمرة ، وسواد ، لأجل أن يعرف أن له خالقاً متقناً ، قال الله تعالى

---

(١) (قوله نزهه الخ) أى اعترف بذلك التنزيه وأظهره لغيره ، وإلا فالله تعالى منزه عن كل نقص أزلا وأبدا وإن لم يقل ذلك زيد أو غيره اه .

(وفى أنفسكم أفلا تبصرون(١)) أى وفى أنفسكم آيات ودلائل أتتركون التفكر فيها فلا تبصرون فيها ، وقد ورد « من عرف نفسه عرف ربه » أى من عرف نفسه بالحدوث والفقر ، عرف ربه بالقدم والغنى . فاذا نظرت إلى مبدإ خلقك ، وجدت مولاك سبحانه وتعالى قاد والديك بزمام الشهوة مقهورين فى صورة مختارين مع تمام البسط والأنس ، فاذا حصل الوقاع منهما صانك الله فى قرار مكين ، فخلق تلك النطفة علقة ، ثم خلق العلقة مضغة ، ثم مدها وصورها ، فجعل الرأس فى أحسن خلقة ، وخلق العين والأذن ، وصور الوجه في أحسن صورة ، ثم أودع البصر الذى هو نعمة من أعظم النعم فى العين أى الجارحة المعلومة ، والسمع فى الأذن ، والشم فى الأنف ، وخلق الفم وزينه بالشفتين ، وخلق لك لساناً وجعله يترجم عما فى قلبك ، وجعل رقبتك حاملة لرأسك الشبيهة بالعرش فى الارتفاع ، وجعل فيها منفذاً موصلا للبطن ، وأودع البطن من المصارين والقلب والكبد وغيرها ، مما لايعلم حقيقته إلا خالقه ، وخلق لك الأيدى فيها أكفا وأصابع ، وجعل فيها مفاصل ، والأرجل مثلها ، وخلق العظام وكساها لحما ، ثم نفخ فيك الروح بعد ذلك كله اه من شرح الخريدة باختصار مع زيادة ، ثم بعد تأملك فى نفسك تأمل فى خلق السموات ، بأن تنظر كيف رفعها ولاعماد يسندها وأودع فيها النجوم والقمر والشمس وجعلها محلا لأعظم ملائكته ، وفى السحاب وتسخيره إلى المحل الذى أراده الله له أزلا ، والرياح وتصريفها ، قال تعالى : (وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) فجل الخلاق العليم . والأرض بأن تنظر كيف أجرى

---

(١) قوله : أفلا تبصرون ، الاستفهام داخل على محذوف أى أعميتم فلاتبصرون اه من حواشى المؤلف على الكبرى للسنوسى .

لك الماء فيها لتشرب منه ، وكيف أنبت لك الزرع مع حفظه لك من آفات الأرض إلى أن يكبر ، فتدرسه وتأكل منه وتستقيم عليه . وخلق لك أشجاراً عظيمة القدر لايحصى عدد نوعها إلا هو لتأكل مما يخرج منها ، فجل العلى المقتدر .

فاذا عرفت ذلك ترقيت إلى زيادة حبه ، فيترتب على ذلك أن تنفجر ينابيع الحكمة ، أعنى الأسرار والمعارف من قلبك ، وأن تقرب من مولاك قرباً معنويا ، وتقعد فى مقعد صدق عنده ، وفى هذا القدر كفاية والله أعلم .

﴿قديم بلا ابتداء﴾ لأنه قديم بالذات وهو موجود لاابتداء لوجوده ، فقولى بالذات احتراز عن القدم الزمانى بمعنى مرور الأزمنة على الشىء مع بقائه فهذا محال عليه عز وجل .

﴿باق بلا انتهاء﴾ أى انقضاء ؛ لامتناع لحوق العدم لمن ثبت له القدم(١) فاذا كان قديماً بلا ابتداء استحال عليه الحدوث وثبت له القدم ، لأنه لو لم يكن قديماً لكان حادثاً فيفتقر إلى من يحدثه وهو محال ، لما يلزم عليه من الدور أوالتسلسل ، وهما محالان كما تقدم بيانه ، وقوله باق بلاانتهاء : أى أن بقاء المولى الجليل ليس له انتهاء ، لأن الانتهاء من حق الحوادث وهو مخالف للحوادث ، لأنه لولم يتصف بوجوب البقاء لجاز عليه العدم ، ولو جاز عليه العدم لكان حادثا ولو كان حادثا لافتقر إلى محدث ولو افتقر إلى محدث لافتقر محدثه إلى محدث وهكذا فيلزم إما الدور أوالتسلل وهما محالان فيستحيل عليه ضدالبقاء وهوطروالعدم ويثبت له البقاء وهوالمطلوب . وقوله

---

(١) اتفق العقلاء أجمع على أن من وجب قدمه استحال عدمه ولم يعهد أنهم اتفقوا على غير ذلك ؛ لذلك كان من المسلم به عندهم هذا الدليل ، إذ لاواسطة بين القديم والحادث اه عبد العزيز .

﴿مخالف فى ذاته لجميع الخلق﴾ أى من النوع الانسانى وغيره ، فأل للجنس أى مخالف لجنس كل مخلوق خلقه ﴿ فليس بجسم﴾ مركب من عروق ودم ولحم وعظم وغيره ﴿ولاعرض﴾ كالبياض والحمار والسواد ﴿ولا يتصف بالمكان ، ولا بالزمان ، ولا باليمين ، ولا بالشمال ، ولا بالخلف ، ولا بالأمام﴾ .

اعلم أن قوله : مخالف فى ذاته ، فيه حذف الواو ومعطوفها : أى مخالف فى ذاته وصفاته وأفعاله : أى أن كلا مما ذكر مخالف لجميع الخلق ، فليس بجسم ولا عرض ، ولا متصف بجهة كالحوادث ، تنزه الله عن ذلك .

فمن اعتقد أنه جسم كالأجسام كفر باتفاق ، ومن اعتقد أنه جسم ليس كالأجسام ، فقال ابن عرفة : يكفر ، وقال غيره : لايكفر . وكذلك معتقد العرضية والجهة ، فسبحان من هو موجود قبل المكان بلا مكان وبعد أن أوجده ليس فيه ، فلا يقال الله متصل بالعالم ولا منفصل عنه ، وليس فى السماء ولا فوقها ، ولا بين السماء والأرض ولا فى الأرض ولا تحتها . ومراد المصنف بعدم اتصافه بالمكان حيث نفاه كونه فوق العرش مثلا ، وبالزمان دوران الأفلاك عليه ، أو تكرر الجديدان : الليل والنهار .

﴿تنبيه﴾ قوله مخالف لجميع الخلق : قد بين وجه المخالفة بقوله : فليس بجسم الخ . ومما يخالف به أيضاً اتصاف ذاته العلية بشىء حادث ، كأن يتصف بقدرة حادثة مثلا ، أو بالصغر أى قلة الأجزاء ، أو بالكبر بمعنى كونه كبير الأجزاء ، والأغراض جمع غرض ، وهى العلة التى هى سبب فى وجود فعل من الأفعال ، تنزه مولانا عن جميع ذلك ، وما ورد مما يوهم الجسمية كقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) فتؤول (١) اليد بالقدرة ، وما ورد مما يوهم الجهة كقوله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) فتؤول الفوقية

---

(١) (قوله) فتؤول الخ : أى على مذهب الخلف ، وأمامذهب السلف فهو التفويض مع التنزيه اه عبد العزيز .

بالعظم ، أى أن الله عال عليهم بالقهر والعظمة ، وليس فى جهة فوق ولا غيرها ، موجود قبل الزمان ومع الزمان وبعد الزمان (فسبحان من بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون) .

وحيث إنه لم يتصف بجهة من الجهات ، فيستحيل عليه ضد المخالفة وهو المماثلة .

﴿ القائم بنفسه ﴾ أى لأنه ذات ، والذات تقوم بنفسها بخلاف الصفة ، فهى ماقامت بالغير ، إذ لو كان صفة لم يتصف بصفات المعانى والمعنوية مع أنه ثبت الدليل على اتصافه بهما ، فيستحيل عليه ضد القيام بالنفس وهو كونه صفة .

﴿ واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله ﴾ أى أن الله إله واحد فى ذاته ، إذ لو وجد إله ثان لأمكن اختلافهما ، بأن يريد أحدهما وجود عمرو مثلا ، والآخر يريد عدم وجوده ، فيلزم عجزهما ، لأنه لايمكن أن ينفذ مرادهما معاً ، لأنه يلزم عليه اجتماع النقيضين ، أعنى الوجود والعدم ، ولا مراد أحدهما دون الآخر لأنه يلزم عليه عجز من لم ينفذ مراده والآخر مثله فيلزم عجزه أيضاً ، وعجزهما معاً هو المشهور بين الجمهور .

وكان ابن رشد يقول : إذا قدر نفوذ أحدهما دون الآخر ، كان الذى نفذ مراده هو الإله . وليست صفاته متعددة ، بأن يكون له قدرتان وعلمان بل علم واحد وقدرة واحدة . وفعله كذلك أى واحد ، فليس هناك أحد مشارك له فى فعل من الأفعال .

ودليل ذلك أنه لو لم يكن واحداً فى الذات والصفات والأفعال للزم عجزه وهو محال وتقدم توضيحه . وحيث ثبت عدم عجزه استحال عليه ضد الوحدانية ، وهو التعدد فى ذاته وصفاته وأفعاله . وقوله ﴿ حى ﴾ أى متصف بالحياة ، لأنه إذا انتفت عنه تلك الصفة انتفا عنه جميع الصفات ، لأن الحياة

شرط فيها وقد ثبتت الأدلة على وجوبها ، فيستحيل عليه ضد الحياة وهو الموت

﴿ عليم بكل شيء ما كان ﴾ أي وجد فيما مضى ﴿ وما يكون ﴾ أي يوجد فيما يأتى : ﴿ من العوالم ﴾ بكسر اللام جمع عالم بفتحها ، وهو اسم لمجموع ماسوى الله وصفاته . فالعالم اسم لشيء مشترك بين كل جنس وكل نوع وكل صنف ، يقال : عالم الحيوان ، عالم الجن ، عالم الانس ، عالم التسكرور ، عالم البر برمثلا . ﴿ التى لا يعلم عددها إلا الله وما لم يكن فيها ﴾ أى يوجد فيها أى منها أى يعلم كليها وجزئيها شخصاً شخصاً ، يعلم أباه وأمه ومن أين هو ، ويعلم اسمه واسم أبيه وأجداده إلى أبيه آدم ، والكلى كالحيوان الناطق ، والجزئى كعمرو وزيد ، وعلمه من غير نظر واستدلال . وقوله : عليم بكل شيء ، أى سواء كان ظاهراً ينظر أو خفياً لا ينظر . قال تعالى : (إن الله لايخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء) وقد ثبت الدليل على وجوب اتصافه بالعلم كما قدمته مقرراً موضحاً ، فيستحيل عليه ضد العلم وهو الجهل سواء كان مركباً كاعتقادك أنك عالم وفى الحقيقة جاهل ، وجاهل كونك جاهلا لأنه اعتقاد ما أنت على خلافه ، أو بسيطاً وهو جهلك الشيء مرة واحدة ، ويستحيل عليه أيضاً الغفلة أعنى عدم العلم بالشيء سواء علمه أولا أو لم يعلمه . ويستحيل عليه أيضا الذهول ، وهو عدم العلم بالشيء مع تقدم العلم به . وبالجملة فيجب لله العلم بجميع الأشياء ، ويستحيل عليه ما قابله من جهل أو ظن أو شك أو غفلة أو غير غير ذلك ، والله أعلم .

﴿ مريد لكل شيء ﴾ أراد وجوده فلا يوجد شيء من غير إرادته ، وقوله : ﴿ جرى وبرز ﴾ هما بمعنى واحد .

﴿ قادر على كل شيء من الممكنات وعلى إعدامها ﴾ أى أن الله سبحانه وتعالى متصف بالارادة المخصصة لوجود الأشياء فى الأزل على الوجه الذى توجد عليه تلك الأشياء ، وصالحة فى الأزل لأن يكون تخصيصها الأشياء

فى الأزل فلا يوجد على خلاف ما خصصته ، وتتعلق هى والقـدرة بوجود ما كان وجوده جائزا وإعدامه كذلك ، ولا يتعلقان بواجب كذاته سبحانه وتعالى ، ولا بمستحيل كالشريك ، ولكل دليل نقلى وقد تقدم فى الصفات ، ولها دليل عقلى أيضاً ، فنقول فى دليل الارادة : إنه لو لم يخلق الأشياء مريداً لها بأن يوجد شىء على خلاف ما أراده فيكون مكرهاً ، وإذا كان كذلك يكون عاجزاً وكونه عاجزاً محال ، فثبتت الارادة واستحال ضدها وهو الكراهية . وفى القدرة : لو لم يكن مولانا قادراً لكان عاجزاً ، ولو كان عاجزاً لما وجد شىء من الحوادث ، وعدم وجود شىء من الحوادث باطل لمشاهدتنا إياها ، فثبت كونه قادراً واستحال عليه العجز . وقوله : قادر على كل شىء : أى على وجود كل شىء هو القسم الثالث ، لأن ما يتعلق فى حق الله : إما واجب ، وإما مستحيل ، وإما جائز .

﴿ لا يشاركه فى ذلك ﴾ أى وجود الممكنات وإعدامها ﴿ مشارك ﴾ وليس لعبد من عبيده قدرة على فعل شىء . فان قلت : إذا لم تكن لنا قدرة على إيجاد شىء ، فكيف ينسب لنا العمل ويصح تكليفنا به ونخاطب به ؟ قال الله تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) . أجاب سيدى أحمد الدردير فى شرح الخريدة عن ذلك قائلا : نسبة العمل إلينا وتكليفنا به ومخاطبتنا بتحصيله وفعله ، إنما هو من حيث كونه كسباً أو اكتساباً(١) ، لا من حيث إنه إيجاد واختراع اهـ .

وتوضيح ذلك أن قدرته سبحانه وتعالى توجد الأشياء على طبق الارادة وهو المسمى بالايجاد والاختراع ، وهو متعلق القدرة القديمة ، وأما قدرتنا فلا تتعلق إلا بالأفعال التى لنا فيها ميل وقصد من غير إيجاد واختراع ، بخلاف قدرة مولانا كما تقدم ، وتعلق قدرتنا إما تعلق كسب إن كان طاعة قال تعالى : (لها ما كسبت) أى من الطاعات ، أو اكتساب إن كان معصية ، قال تعالى : (وعليها ما اكتسبت) أى من المعاصى والله أعلم .

---

(١) قال تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت).

﴿سميع ومبصر﴾ أى أن الله سبحانه وتعالى له سمع واحد وبصر واحد، ويتعلق كل منهما بالذات والصفات الوجودية القائمة بذاته تعالى تعلقاً تنجيزياً قديماً، وبذاتنا وصفاتنا تعلقا صلوحيا قديماً قبل وجودنا، وتنجيزيا حادثاً عند وجودنا. فلو لم يكن متصفاً بالسمع والبصر لاتصف بضدهما، أعنى الصمم والعمى، وذلك مستحيل لاقامة البرهان على ثبوت ذلك له فيستحيل عليه الصمم والعمى، ويثبت له السمع والبصر.

﴿متكلم بكلام أزلى منزه عن الصوت والحرف﴾ أى أن كلام الله كلام نفسى منزه عن الحرف والصوت، وهو قائم بذاته متصف به، لأنه لو لم يكن متكلماً لكان أبكم، والبكم نقص، والنقص مستحيل عليه تعالى، فثبت له الكلام، واستحال عليه البكم. ويستحيل عليه ضد الصفات المعنوية، وهو ضد صفات المعانى بنفسه فتنبه.

خاتمة

يجب على المكلف أن يعتقد أنه يجوز فى حقه تعالى فعل الممكنات وتركها، كأن يعتقد أن السعادة والشقاوة عدمهما فى الأشخاص ووجودهما جائز، ولا ينتقل صاحب السعادة للشقاوة والعكس، لأنهما أزليتان مقدرتان فى الأزل لا يتغيران ولا يتبدلان، وقولى فيما تقدم السعادة: أى الموت على حسن الخاتمة؛ أى ولو كان صاحبها كافراً. والشقى من مات على الكفر أى ولو كان مسلماً. ويترتب على السعادة الخلود فى الجنة والحور والقصور. ومما يجب على المكلف أن يعتقده أن رؤية الله جائزة. قال تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ويراه المؤمنون فى الجنة منزها عن المقابلة والجهة والمكان كما يعلمونه فى الدنيا ليس فى جهة غير منحصر أيضاً. وقولى يراه المؤمنون أخرج المنافقين والكافرين فلا يرونه لقوله تعالى: (كلا إنهم

عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقيل المنافق يراه ثم يحجب ، والكافر لا يراه باتفاق كالحيوانات الغير العقلاء . والملائكة(١) والأمم السابقة والصبيان والبله والمجانين الذين أدركهم البلوغ على الجنون وماتوا مجنونين ، وكذلك أهل الفترة لأن إيمانهم صحيح كما فى عبد السـلام على الجوهرة : كالمؤمنين أى يرونه مثلهم .

تنبيه : لا يجب عليه سبحانه وتعالى فعل الصلاح بالعباد ، وقول المعتزلة فعل الصلاح بالعباد واجب على الله زور وباطل ، لأنه لو وجب عليه فعل الصلاح لما خلق الكافر الفقير المعذب فى الدنيا بالفقر وفى الآخرة بالعذاب الأليم ، ولو وجب عليه فعل الأصلح لم يبق لتفضيل خلقه على بعضهم محل وهو باطل بالمشاهدة . قال تعالى : (وربك يخلق مايشاء ويختار) وقال تعالى : (يختص برحمته من يشاء) قال سيدى أحمد الدردير فى خريدته :

ومن يقل فعل الصلاح وجبا   على الإله قد أساء الأدبا

وقال العارف اللقانى فى الجوهرة :

وقولهم إن الصلاح واجب   عليه زور ما عليه واجب

ألم يروا إيلامه الأطفالا   وشبهها فحاذر المحالا

قلت : والمراد بالواجب فى كلامهما لزوم الأمر الأصلح بحيث لا يتمكن من تركه ، لا ما يثاب على فعله ويستحق تاركه الذم والعقاب لأن هـذا فى حق الحوادث ، والفرق بين الصلاح والأصلح ان تقول : لبس عمرو الثوب هذا صلاح ، والأصلح لبس فرجية ، والله أعلم .

ولما فرغ من الكلام على ما يتعلق بالحضرة الإلهية شرع فى الكلام على ما يجب للحضرة النبوية الشاملة (٢) من آدم(٣) إلى الرأس العلية فقال :

---

(١) قوله : والملائكة . مبتدأ خبره قوله كالمؤمنين اه

(٢) قوله الشاملة أى الحضرة

(٣) قوله من آدم أى من وجود آدم وقوله إلى الرأس العلية أى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اه مؤلف

﴿ و ﴾ أما الذى ﴿ يجب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴾ فهو ﴿ العصمة ﴾ أى الأمانة أى يجب على المكلف أن يعتقد أنهم متصفون بالأمانة لحفظ الله ظواهرهم وبواطنهم فى حال الصغر والكبر ﴿ فلا تقع منهم مخالفة لله فى أمره ونهيه ﴾ بأن يقع منهم أمر محرم أو مكروه أو خلاف الأولى لأنه لو جاز عليهم أن يخالفوا(١) الله فى فعل محرم أو مكروه لجاز أن يكون ذلك المنهى عنه مأمورا به لأنه أمرنا باتباعهم ، وهو لا يأمر بمحرم ولا مكروه ، فلا تكون أفعالهم محرمة ، ولا مكروهة ، فتجب لهم الأمانة ، ويستحيل عليهم الخيانة ، وما وقع لبعضهم كقصة سيدنا موسى مع الخضر(٢) حين خرق السفينة فانه مأمور به باطنا ، وإن كان حراما ظاهرا لأن الله سبحانه وتعالى أمره بخرقها لأنه لو لم يخرقها لأخذها الملك الذى كان يأخذ كل سفينة سليمة غصبا منهم ، قال تعالى : (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) وكسيدنا آدم حين أكل من الشجرة المنهى عنه(٣) ظاهرا بقوله تعالى : (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) فانه مأمور به باطنا لإظهار النور العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وجميع الأنبياء والمرسلين والخلق أجمعين .

---

(١) قوله : يخالفوا الذى فى الأصل « يخونوا » اه

(٢) وفى قول: إن شريعة الخضر غير شريعة موسى عليهما السلام اه قال العارف الصاوى فى حاشيته على الجلالين: والجمهور على أنه حى إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة يجتمع به خواص الأولياء ويأخذون عنه ، وقد اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه فهو صحابى اه بتصرف عبد العزيز.

(٣) قوله المنهى عنه ؛ أى الأكل .

تنبيه : لم يذكر المصنف الصدق وهو واجب أيضا فى حقهم ، أى فيجب علينا أن نعتقد أنهم صادقون فيما جاءوا به من عند الله ، لأنه لو جاز عليهم الكذب الزم الكذب فى خبره تعالى الحكمى ولزوم الكذب على الله محال ، لأن كل عالم يصح أن يخبر على وفق علمه ، وكل ما صح أن يتصف به جل وعلا وجب له ، فيكون اتصافه إذاً بالخبر على وفق علمه الذى هو معنى الصدق واجبا ، فضده إذاً وهو الكذب مستحيل ، لأنه تعالى لما صدقهم بالمعجزة وقت قول القوم للرسول : ما دليلك على رسالتك ؟ فيقول مثلا انشقاق القمر فمتى ما انشق القمر فكأن الله تعالى يقول: صدق عبدى؛ لأنه لو لم يصدقه فى قوله لما شق له القمر ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تسبيح الحصى فى كفه ، وتكليم الجمادات ، وتكليم الحيوانات الغير الناطقة له ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وظهور البركة فى الأطعمة والأشربة .

﴿ و ﴾ أما الذى ﴿ يجب للرسل عليهم الصلاة والسلام ﴾ فهو ﴿ تبليغ ما أمروا بتبليغه للخلق ﴾ من الأحكام ، أى يجب على كل مكلف أن يعتقد أن الرسل عليهم الصلاة والسلام بلغوا جميع ما أمرهم الله بتبليغه ولم يكتموا منه شيئا ، لأنه لو جاز عليهم الكتمان لكتم رئيسهم الأعظم صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : (وتخفى ما فى نفسك ما الله مبديه) أى وهو إعلام الله له بأنه سيزوجه امرأة زيد الذى قد تبناه ، أى اتخذه ابنا له اهـ

خاتمة

يجب الايمان بسائر الرسل إجمالا بمعنى أن يعتقد أن الله أرسل للخلق رسلا من آدم إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويجب الايمان ببعضهم تفصيلا ، وهم خمسة وعشرون : آدم ونوح وإدريس وهود وصالح واليسع

وذو الكفل والياس ويونس وذو النون : أى صاحب الحوت ، وإسمعيل وإسحق ويعقوب ويوسف ولوط وإبراهيم وزكريا ويحيى وعيسى وداود وسليمان وشعيب وموسى وهارون وسيدنا محمد صلى الله عليهم وسلم ، فمن أنكر واحدا منهم بعد معرفته فقد كفر ، والمدار فى معرفتهم على التصديق برسالتهم إذا سئل عن أحدهم هل هو رسول أولا ، فحفظ عددهم ليس واجبا . وحيث وجب الايمان برسل الله يجب الايمان بما جاءوا به ، ومن جملة ما جاءوا به الكتب السماوية ، أى المنزلة من السماء على لسان الملك ، والمراد بالكتب ما يشمل الصحف ، وهى مائة وأربعة : صحف سيدنا شيث ستون وصحف سيدنا إبراهيم ثلاثون ، وصحف سيدنا موسى قبل التوراة عشر ، والكتب الأربعة : التوراة لموسى ، والزبور لداود ، والانجيل لعيسى ، والفرقان لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين . ومما جاءوا به أيضا الملائكة فيجب الايمان بهم ، وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ، والواجب معرفته منهم تفصيلا الرؤساء الأربع : جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، ورضوان خازن الجنة ، ومالك خازن النار ورقيب وعتيد ومنكر ونكير .

وأما ما يجب الايمان بهم إجمالا فخزنة النار وحملة العرش والحفظة الموكلون بحفظ الشخص الصغير والكبير . قال كعب الأحبار : لولا أن الله تعالى وكل بكم حفظة يذبون عنكم فى مطعمكم ومشربكم لتخطفتكم الجنة . ومعنى يذبون يدفعون عنكم ما يؤذيكم ، وقد ورد أنهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار . ورقيب وعتيد هما الكاتبان ، ومحلهما كما فى الحديث مؤخر أضراس العبد اليمين واليسار ، وقلمهما لسانه ، ومدادهما ريقه ، وجعل الله كاتب الحسنات أميرا على كاتب السيئات ، فان فعل حسنة كتبت حالا ، وإن فعل سيئة يقول كاتب السيئات لكاتب الحسنات : أأكتب ؟ فيقول له : اصبر لعله يرجع عما

فعله ويندم عليه ، فان تاب كتبت حسنة ، وإن لم يتب بعد ست ساعات قال له كاتب الحسنات : اكتب ، أراحنا الله منه .

والدليل على ذلك كما فى الجامع الصغير ما رواه الطبرانى والبيهقى عن أمامة باسناد صحيح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال «صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال ، فاذا عمل العبد حسنة كتبها بعشر أمثالها ، وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين : أمسك فيمسك ست ساعات ، فان استغفر الله منها لم يكتب عليه شيئا ، وإن لم يستغفر الله كتبت عليه سيئة واحدة» اهـ . قلت والمراد بصاحب اليمين الملك الموكل بكتابة ما يكون من أحوال الدين : من صلاة وصوم وتسبيح ونحو ذلك ، والمراد بصاحب الشمال الملك الموكل بكتابة ما يكون من الشهوات المضادة لأحوال الدين كالغيبة والنميمة وشرب الخمر ، والمراد بالعبد المكلف ، والمراد بأمسك : أى عن الكتابة . وقوله ست ساعات ، إنما كانت ستا لأجل مناسبة الجوارح التى تصدر منها الأفعال ، وهي ست : العين واللسان والأذن واليد والرجل والفرج . وقولنا الأفعال أعم من أن تكون خيرا أو شرا . وقوله لم يكتب : أى ملك السيئات . وقوله : كتبت عليه سيئة واحده ، هذه الكتابة لا تدرك إلا بعين البصيرة لا البصر .

فائدة : تعرض صحائف الأعمال على رسول الله صلى الله وسلم فان رأى خيرا حمد الله وشكر صاحبها ، وإن رأى غير ذلك استغفر لصاحبها ، والله أعلم .

فرع(١) : مما يجب الاعتناء به معرفة أولاده الطاهرين صلى الله عليه وسلم

---

(١) قوله فرع الخ قال العلامة الفضالى فى كتابه كفاية العوام قال العلماء وينبغى أن يعرف كل شخص عدة أولاده صلى الله عليه وسلم وترتيبهم فى فى الولادة لأنه ينبغى للشخص أن يعرف ساداته وهم سادات الأمة لكن لم يصرحوا فيما رأيته بوجوب ذلك أو ندبه لكن قياس نظائره الوجوب وهم سبعة وأولهم القاسم ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم ثم عبد الله وهو الملقب بالطيب والطاهر وكلهم من السيدة خديجة ، وابراهيم وأمه مارية اهـ .

لينال بركتهم ويستمد من بحر فضلهم المفاض عليهم من أبيهم سيد المخلوقين ونظم سيدى أحمد السجاعى أسماءهم فى ثلاثة أبيات بقوله :

أولاد طـــه قاسم فزينب رقية ذات الجمـــال الباسمه
فأم كلثوم ففاطمه : فعبـــد الله إبراهيم وهو الخاتمه
وأمهم خديجة إلا إبراهيم فأمه مارية كن عالمه

﴿ وغيرها ﴾ أى الأحكام ﴿ كاليوم الاخر ﴾ أى فيجب الايمان به قال تعالى (آمنوا بالله واليوم الآخر) وهو يوم القيامة ، وسمى بذلك لأنه آخر الأوقات المحدودة ، ولأنه آخر أيام الدنيا فلا ليل بعده لأن ما بعده إما نور محض ، وهذا مختص بالمؤمن ، أو ظلام محض ، وهو مختص بمن طغى ، وسمى يوم القيامة لقيام الخلق فيـــه من قبورهم ، وقيامهم بين يدى خالقهم ، وقيام الحجة لهم أو عليهم كما فى حاشية الاجهورى على الجلالين ، ويوم الجزاء ، ويوم القهر ويوم الحاقة ، وأوله من النفخة الثانية إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار .

خاتمـــة

لم يذكر المصنف المستحيلات فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام . ونحن نذكرها تتميما للفائدة فنقول : ضد العصمة التى بمعنى الأمانة الخيانة ، والصدق الذى لم يذكره وقد ذكرته فى التنبيه السابق ، وضده الكذب ، وضد التبليغ الكتمان . ولم يذكر الجائز فى حقهم أيضا ، ونحن نذكره أيضا ، فنقول : الجائز فى حقهم كل شىء من الأعراض البشرية كالمرض والجماع ونحوه إلا ما كان نقصا فى حقهم كالكذب والعيوب المنفرة كالبرص والجذام ونحو ذلك ، والأمور المخلة بالمروءة كالأكل فى الطريق والحرف الدنيئة كالحجامة ﴿ وما فيه ﴾ أى اليوم الآخر أى ويجب الايمان بمـا فى اليوم الآخر ﴿ من الحساب ﴾ قال تعالى : (إن الله سريع الحساب) وهو لغة العد ، واصطلاحا

حساب الله عبيده بنفسه بأن يكلمهم بكلام قديم منزه عن الحرف والصوت بان يزيل عنهم الحجاب حتى يسمعوه ، وقد يكون من الملائكة فقط ، أومن الله ومنهم ، وأخف الحساب حساب الله تعالى فقط حتى لا يعلم بذلك مخلوق يقول الله لعبده فى هذه الحالة : هذه سيئاتك قد غفرتها لك ، وهذه حسناتك قدضاعفتها لك . وأول من يحاسب الأمة المحمدية كرامة له صلى الله عليه وسلم وتسهيلا لأمته فانها وإن كانت آخرهم خلقا أولهم حسابا ، والواسطة فى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، وما ألطف قول صاحب البردة

بشرى لنا معشر الاسلام إن لنا ركنا من الاسلام غير منهدم

فرع : لا يحاسب السبعون ألفا الذين يدخلون الجنة لورود استثنائهم وكذلك من تبعهم ، ولا الأنبياء والملائكة لأن كل من لا يأخذ كتب أعماله لايحاسب ، وهى ما كتبت على العبد فى الدنيا ، والذى يدفعها لأصحابها الريح فقد ورد أن الريح تطيرها من خزانة تحت العرش فلا تخطىء صحيفة عنق صاحبها ، وأن كل أحد يدعى فيعطى كتابه اه

واعتقاد أخذ الصحف واجب ، قال الله تعالى : (فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه) أى وهذا هو السعيد ، وقال تعالى أيضا : (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) أى وهذا هو الشقى . وأول من يعطى كتابه بيمينه سيدنا عمر رضى الله عنه ، وأول من يأخذ كتابه بشماله الأسود بن عبد الأسد . وقوله ﴿ والعقاب ﴾ أى واجب الايمان به قال تعالى : (إن الله شديد العقاب) بأن يعتقد أن الله يعذب بعض العصاة الذين لا يغفر لهم ، وهو إما دائم فى القبر والنار فى الآخرة ، وهذا مختص بالكافر ، أو منقطع كتعذيب من أراد الله عذابه من العصاة .

تنبيه : من عذاب القبر ضغطته ، وهى التقاء حافتيه ، ومنه ماأخرجه ابن أبى شيبة وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يسلط الله على الكافر تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه

حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على وجه الأرض ما أنبتت خضراً ،
اهـ . عبد السلام .

وقد روى الامام أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن أنس أنه عليه الصلاة والسلام قال « إن العبد إذا وضع فى قبره وولى عنه أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدالله ورسوله ، فيقال : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعا ويفسح له فى قبره سبعون ذراعا ، ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون ، وأما الكافر والمنافق فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول: لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال له: لادريت ولا تليت ، ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ويضيق عليه حتى تختلف أضلاعه» اهـ . قلت قوله لادريت : أى لم تدر ولم تعلم الخ . وقوله تليت أى تليت كلام الله وعلمت أنه قال : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار) وقال تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله) .

خاتمـــة

سؤال الملكين فى القبر منكره فاسق لا كافر كما قال شيخنا العقباوى . والســـؤال خاص بهذه الأمة وقولى: الملكين ، أعنى منكراً ونكيراً يأتيان للميت بعد الدفن وانصراف الناس عنه وصورة سؤالهما : من ربك ، وما دينك ، وما تقول فى الرجل الذى بعث فيكم ؟ فان كان مؤمناً أجاب بقوله : ربى الله ، والاسلام دينى ، والرجل المبعوث فينا محمد صلى الله عليه وسلم . وإن كان كافر أجاب بقوله : لا أدرى فيقولان له ما تقدم فى الحديث

ويفعل به مامر ، ويسألان كل أحد بلسانه ، والسؤال لكل شخص ولو مزقت أضلاعه(١) أو حرق وذرى فى الهواء إذ لا يبعد أن يخلق الله الحياة فيمن ذكر إلا من ورد الحديث بعدم سؤالهم كملازم سورة تبارك كل ليلة .

روى الطبرانى فى الأوسط والضياء عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « سورة من القرآن ماهى إلاثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة وهى تبارك » اه . وتفسير ذلك أن قوله : خاصمت ، أى حاجت عنه ودافعت ، والضمير فى أدخلته يعود على قارئها الملازم لها كل ليلة اه .

وروى ابن مردويه عن ابن مسعود عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « سورة تبارك هى المانعة من عذاب القبر » قال المناوى أى الكافة عن قارئها إذا مات ووضع فى قبره فلا يعذب فيه ، وهذا ظاهر فى عدم السؤال أصلا ، وبه صرح بعضهم ، وقيل لا يسئل : أى بشدة فلا ينافى أنه يسئل بلطف ، وكذلك من قرأ سورة الاخلاص فى مرضه ثلاثا ومن مات ليلة الجمعة أو يومها ، وموته فى تلك الليلة أو يومها دليل على سعادته ، وحكمة السؤال إظهار ما كتمه العباد فى الدنيا من إيمان وكفر أو طاعة أو عصيان فان كان مؤمناً باهى الله به ملائكته ، وإن كان كافراً فضحه عندهم ، ولا يسأل الأطفال ويسأل الجن .

﴿ والصراط ﴾ وهو ثابت بالكتاب فيجب الايمان به ، قال الله عز وجل

---

(١) قوله أضلاعه . الذى فى الأصل أعضاؤه

فى سورة يس (فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون) وهو فى اللغة الطريق ، وشرعا جسر ممدود على متن جهنم بين الموقف والجنة ، والمرور عليه مختلف فيضيق ويتسع بحسب الأعمال فمنهم سالم بعمله ناج من الوقوع فى نار جهنم يمر كالبرق الخاطف وهو أولهم ثم من يجوز كالريح العاصف ، ثم من يجوز كالطير ، ثم من يجوز كالجواد السابق ، ثم من يجوز كالماشين ، ثم من يجوز حبوا . ونور كل لا يتعدى إلى غيره .

والحكمة فى الصراط ظهور النجاة من النار ، وأن تصير الجنة للمؤمنين أسر لقلوبهم بعد المرور ، وهو موجود على المعتمد . طوله ثلاثة آلاف سنة : ألف صعود ، وألف هبوط ، وألف استواء . جبريل فى أوله ، وميكائيل فى وسطه يسألان الناس عن عمرهم فيما أفنوه ، وعن شبابهم فيما أبلوه ، وعن علمهم فيما عملوا به . فتنبه ولا تغفل وادع لى بالمغفرة .

﴿ والميزان ﴾ اعلم أن حكمته امتحان العباد بالايمان بالغيب كالحساب والعقاب والصراط والجنة فى الدنيا ، وجعل ذلك علامة لكل سعيد وشقى . وهو قبل الصراط ، وهو كميزان الدنيا له كفتان ولسان توضع فيه صحائف الأعمال ، وهو ميزان واحد لجميع الأمم ، ولجميع الأعمال ، والجمع فى قوله تعالى : (ونضع الموازين القسط) للتعظيم ، ووزن أعمال المخلوقات فيه بناء على أن الحسنات متميزة بكتاب والسيئات بآخر ، ومن لا يحاسب لا توزن أعماله كالملائكة والأنبياء والسبعين ألفاً ومن تبعهم ، فمن ثقلت موازينه فهو المفلح الناجى ، ومن خفت موازينه فهو الخاسر الهالك والله أعلم .

﴿ والجنة ﴾ هى لغة البستان ، والمراد بها دار الثواب ، يعنى أن الايمان بها واجب . قال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار) ومذهب جمهور المسلمين على أنها مخلوقة اليوم بدليل قصة آدم وحواء عليهما السلام ، والأكثرون على أن الجنة فوق السموات السبع

وتحت العرش لقوله تعالى : (عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى) وقوله صلى الله عليه وسلم « سقف الجنة عرش الرحمن » وأما النار الآنى ذكرها فتحت الأرضين السبع . قال الشيخ سعد الدين التفتازانى : والحق تفويض ذلك إلى علم العليم الخبير اه . من كلام نجم الدين فى بديع المعانى فى شرح عقيدة الشيبانى مع حذف وتغيير

وأبواب الجنة الكبار ثمانية : باب الشهادتين ، وباب الصلاة ، وباب الزكاة ، وباب الحج ، وباب الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وباب الصلة ، وباب الجهاد فى سبيل الله .

فرع : بناء الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران . من يدخلها لا يموت ولا يفتقر ، ولا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، لا شمس فيها ولا حر ولا برد .

وأخرج البيهقى عن عبدالله بن أبي أوفى قال «قال رجل : يارسول الله إن النوم مما يقرالله به أعيننا فى الدنيا فهل فى الجنة من نوم ؟ قال : إن النوم شريك الموت وليس فى الجنة موت» اه

ولباس أهلها الحرير ، قال تعالى (ولباسهم فيها حرير) وحليتهم الذهب والفضة واللؤلؤ ، قال تعالى (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا) وأوانيها الفضة ، قال تعالى (ويطاف عليهم بآنية من فضة) وصحافها من ذهب ، قال تعالى (يطاف عليهم بصحاف من ذهب) وهى سبع جنات متجاورة أفضلها وأعلاها درجة الفردوس وفوقها عرش الرحمن ومنها تفجر أنهار الجنة ، ثم يليها جنة المأوى ، وجنة الخلد ، وجنة النعيم ، وجنة عدن ، ودار السلام ، ودار الجلال ، وفى كل قصر منها فرع من شجرة طوبى ، وأصلها فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم تطرح ماتشتهيه الأنفس ، فاذا أراد الانسان الأكل قال : سبحانك اللهم فتوضع بين يديه مائدة طولها ميل وعرضها ميل فيها جميع مايشتهى ، فاذا فرغ قال : الحمد لله رب العالمين فترفع .

خاتمـــة

أهل الجنة يدخلونها على صورة أبيهم آدم وطوله ستون ذراعا ويكونون جردا بضم الجيم : أى لاشعر على أبدانهم ، كحلا بضم الكاف وسكون الحاء المهملة : أى على أجفانهم سواد خلق ، لايفنى شبابهم ، وسنهم واحد دائماً ، أعنى ثلاثا وثلاثين سنة . وأول من يدق بابها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم تدخل أمته بعده فأول زمرة تدخلها : أى طائفة وجوههم كصورة القمر فى الضياء ليلة تمامه . والزمرة الثانية التى تدخل عقبهم وجوههم مثل الكوكب الدرى أى المضىء فى السماء . وأول شىء يأ كله أهل الجنة إذا دخلوها زيادة كبد الحوت ، وهى القطعة المنفردة عن الكبد المتعلقة به ، وهى أطيبه وألذه ، وأبرد شىء فى الحوت ، وتطفىء لهم حرارة الموقف والله أعلم .

﴿ والنار﴾ جوهر لطيف حار محرق مضىء ، وهى دار العقاب ، وهى موجودة كالجنة فيجب الايمان بها قال تعالى : (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) وطباقها سبع ، وكل طبقة مختصة بأجسام . وقد نظم ذلك شيخ مشايخنا الأمير بقوله :

جهنم للعاصى لظى ليهودها   وحطمة دار للنصارى أولى الصمم
سعير عذاب الصائبين ودارهم   مجوس لها سقر جحيم لذى صنم
وهاوية دار النفاق وقيتها   وأسأل رب العرش أمناً من النقم

فنعوذ بالله منها ونسأل الله البعد عن أسبابها الموصلة لها ، كالغيبة ، وهى ذكر الانسان(١) بما فيه مما يكرهه سواء كان بالكلام أوالاشارة ، وهى محرمة

---

(١) قوله الانسان ، المراد به المؤمن غير المتجاهر بمعاصيه ، وأما المتجاهر فلا ، لقوله عليه الصلاة والسلام « لاغيبة فى فاسق » فالكافر من باب أولى. واعلم أن الغيبة كما تكون باللسان تكون بالجوارح كتصنع العرج لاغاظة الأعرج ، واللثغ للألثغ وهكذا وإنما قال الشيخ : بما فيه ، لأنه لو ذكره بما ليس فيه يكون بهتاناً لاغيبة وهو أشد من الكذب . والله أعلم .

إجماعا قال تعالى : (أيحب أحدكم أن يأ كل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) وكما تحرم الغيبة على المغتاب يحرم استماعها . والنميمة نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الافساد أى على جهة يترتب عليها الافساد ، وقد اتفق أصحاب المذاهب على أنها كبيرة لقوله عليه الصلاة والسلام « لا يدخل الجنة نمام » والحسد وهو تمنى زوال نعمة الغير المحسود . قال تعالى : (ومن شر حاسد إذا حسد) . فهذه كلها أسباب موصلة إلى النار ، وشاع فى زماننا فعلها على ألسنة العالم والجاهل ، وطلبة العلم ، وأكثر اغتيابهم فى إخوانهم الصالحين ومشايخهم .

خاتمة

من دخل النار من عصاة الموحدين لايستمر فيها بل يخرج منها ويدخل الجنة لقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) والمؤمن العاصى قد عمل خيراً لأن إيمانه من أعظم الخيرات فلا بد أن يرى ثوابه ، وهو بعد الخلاص من العذاب . قال بعضهم : يموت العصاة من الأمة المحمدية فى النار موتة حقيقية تكريما لهم كما قال القرطبى حتى لايحسوا ألم العذاب . فان قلت حيث كان الحال كذلك فأى فائدة فى دخولهم النار لعدم إحساسهم بالعذاب . قلت : أجاب بعضهم قائلا . يجوز أن يدخلهم النار تأديبا لهم وإن لم يذوقوا فيها العذاب ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم والله أعلم

﴿ والعرش ﴾ قيل هو أول المخلوقات بعد النور المحمدى ، وهو جسم نورانى علوى يجب الايمان به ، محيط بجميع ماخلقه الله تعالى ، لاقطع لنا بتعيين حقيقته . وقولى : بجميع ، دخل فيه السموات والكرسى لأنه تحت قوائمه ، وهو سقف الجنة السموات والأرض تحته كحلقة مرماة فى فلاة من الأرض ، والحاملون له فى الدنيا أربعة أملاك ، وفى الآخرة ثمانية ، قال تعالى (ويحمل

عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) . والأول نص عليه العقباوى ، وإنما كان الحاملون له يوم القيامة ثمانية لعظم تجلى الله على خلقه .

﴿ والكرسى ﴾ جسم عظيم نورانى ملتصق بالعرش ، وهو قبة عظيمة يجب الايمان به والامساك عن تعيين حقيقته ، وهو غير العرش خلافا لسيدى حسن البصرى .

﴿ والكتب ﴾ أى مما يجب الايمان به الكتب السماوية المنزلة على الرسل وقد تقدم بيانها .

﴿ والرسل ﴾ أى ويجب الايمان بالرسل أى والأنبياء كذلك ، فنعتقد أن لله أنبياء ورسلا لايعلم عددهم إلا هو . فنؤمن بهم جميعاً ، ومن آمن بالبعض فقط فقد كفر كالنصارى فانهم صدقوا برسالة سيدنا عيسى ، ولم يصدقوا برسالة الرئيس الأعظم ، وقد اتفق للعز (١) رحمه الله تعالى أن أتاه حبر من النصارى فقال : عيسى أفضل من محمد لأننا وأنتم اتفقنا على رسالته ، وأما محمد فلم نوافقكم فى رسالته ، فقال العز : هل مقصودك ياحبر النصارى عيسى الذى قال الله حكاية عنه : (ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) أو عيسى غير هذا ؟ فان كان هو المبشر بكسر الشين ـ فلم تؤمنوا به ـ لأنكم لم تصدقوه فى قوله فى محمد صلى الله عليه وسلم . وإن كان غيره فلم نؤمن نحن برسالته ، فلم يكن عيسى متفقا عليه على كلامك ، فبهت اللعين الضال ، وانتصر العز ومن معه من المسلمين ، ولله الحمد على ذلك .

﴿ وماوقع لهم مع أممهم ﴾ كاظهار المعجزات عند عدم تصديق أممهم لهم فيما قالوا :

فرع : مما يجب اعتقاده وجود حوض نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقد دل

---

(١) أى ابن عبد السلام سلطان العلماء .

على وجوده الكتاب ، قال تعالى (إنا اعطيناك الكوثر) على أحد التفاسير ، والسنة فى الصحيحين « حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء ، ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه أكثر من نجوم السماء ، من شرب منه لا يظمأ أبداً، اه .

وأما شراب أهل الجنة فيها فعلى سبيل التلذذ ، ويقف على أركانه أربعة فعلى الركن الأول أبو بكر ، وعلى الثانى عمر ، وعلى الثالث عثمان ، وعلى الرابع على رضى الله عنهم وعن بقية الصحابة أجمعين .

واعلم أن من كره أحدهم فى الدنيا لم يسقه الآخر . قال نجم الدين: وقد نقل القرطبى أن ممن يطرد عن الحوض من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج والروافض والمعتزلة وكذا الظلمة المسرفون فى الجور والظلم والمعلنون بالكبائر والمستخفون بالمعاصى وجماعة أهل البدع ، ثم قال : وقد يقال إن من أنفذ الله عليه وعيده من أهل الكبائر وإن ورد الحوض وشرب منه فاذا دخل النار بمشيئة الله تعالى لا يعذب بعطش .

﴿ ويجب الايمان بالحور العين ﴾ قال الله تعالى : (وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) الحور: جمع حوراء من الحور بالفتح وهو شدة سواد العين مع شدة بياضها ، وعين : بالكسر جمع عيناء ، وهى الواسعة العين ، وهن نساء الجنة ووصفهن بالعين لاتساع أعينهن كما علمت . وأدنى مايكون للرجل فى الجنة منهن سبعون زوجة وثمانون ألف خادم . فقد أخرج أحمد والترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم ، واثنان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء » اه عطية محشى الجلالين .

ومن مهرهن كنس المساجد . فقد أخرج أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كنس المساجد مهر الحور العين » .

خاتمة

أخرج البزار والطبرانى فى الصغير وأبو الشيخ فى العظمة عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً » اه ولا تعب فى الجنة لهن كنساء الدنيا من حيث إنها بكر فاذا مسها لا تجد ألما منه(١) كهن ، ولا دم يخرج منها مثلهن فانهن منزهات عن ذلك ، وخلقهن الله من الزعفران لجل الخلاق العليم .

ثم اختلف هل يوجد فى الجنة توالد وتناسل ؟ فقال بعضهم : بوجوده لقوله عليه الصلاة والسلام « إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ، ووضعه ، وسنه فى ساعة » اه . رواه الترمذى وحسنه وأبو الشيخ عن أبى سعيد الخدرى .

(فائدة) ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيان له بأحسن صوت يقلن : نحن الحور الحسان هدينا لأزواج كرام ، والله أعلم .

﴿ ويجب الايمان بالولدان ﴾ قال تعالى (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) وصورتهم على صورة غلمان الدنيا لا أب لهم ولا أم ، وهم خدمة أهل الجنة لا يخطر ببالهم فحش فيهم ، جمالهم شديد ، ورؤيتهم سارة مفرحة ، فتنبه وادع لى بالمغفرة .

(ويجب الايمان بالأولياء) أى يجب علينا أن نعتقد أن الله جعل بعض عبيده أولياء ، قال تعالى (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) والأولياء : جمع ولى ، وهو القائم بحقوق الله وحقوق عباده مواظبا على الطاعات مجتنبا للمعاصى . معرضاً عن اللذات ، أفعاله دائرة بين الواجب

---

(١) قوله منه أى المس ، وقوله كهن اى كنساء الدنيا .

والمندوب ، ويقصد بأكله وشربه التقوى على طاعة مولاه . وسمى وليا لأن الله تولى أمره فلم يكله لغيره طرفة عين ، ولأنه تولى عبادة الله على الدوام من غير أن يتخللها عصيان . والكرامة ثابتة له غير منفية عنه كأن يقسم على السما أن تمطر فتمطر كما وقع لسيدى عبد الله الثقفى . وليست مقرونة بدعوى نبوة .

﴿ ويجب الايمان باسرائه صلى الله عليه وسلم ﴾ أى أن الله أرسل سيدنا جبريل ليلا إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأركبه البراق وسار به من مكة إلى بيت المقدس ، قال الله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) فمنكره كافر .

﴿ وبالمعراج أيضا ﴾ وهو صعوده صلى الله عليه وسلم بجسده ليلة الاسراء السموات السبع .

وحاصله أنه أتاه جبريل ، فشق صـــدره الشريف وهو بمكة وغسله ثم اطبقه ، ثم أخذ به فعرج به إلى سماء الدنيا ، فلما أتيا إليها قال جبريل لخازن سماء الدنيا : افتح . قال من هذا ؟ قال جبريل . قال هل معك أحد ؟ قال نعم معى محمد . قال أو أرسل إليه ؟ قال نعم . فلما علواها لقيا رجلا على يمينه جماعة كثيرون ، وعلى يساره كذلك ، فاذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال من هذا ياجبريل ؟ فأخبره بأن الرجل هو آدم ، والجماعة الذين هم على يمينه أهل الجنة ، والذين على يساره أهل النار ، ثم صعدا إلى السماء الثانية ، فلما أتيا الخازن قال لهما مثل ما قال خازن سماء الدنيا . فلما علواها فاذا هو بعيسى ابن مريم ، ويحيى بن زكريا ، فسلم عليهما ، فردا عليه السلام ورحبا به ودعوا له بخير . ثم صعدا إلى السماء الثالثة ، فلما أتيا الخازن قال لهما مثل ماقال خازن سماء الدنيا ، فلما علواها فاذاهو بيوسف عليه السلام ، فسلم عليه ، فرد عليه السلام ورحب به ودعا له بخير . ثم صعدا

إلى السماء الرابعة ، فلما أتيا الخازن قال لهما مثل ما قال الأول ، فلما علواها فاذا هو بادريس قد رفعه الله مكاناً عليا ، فسلم عليه ، فرد عليه السلام ورحب به ودعا له بخير . ثم صعدا إلى السماء الخامسة ، فلما أتيا الخازن قال لهما مثل ما قال الأول ، فلما علواها فاذا هو بهارون ، فسلم عليه ، فرد عليه السلام ، ثم رحب به ودعا له بخير . ثم صعدا إلى السماء السادسة ، فلما أتياها قال الخازن لهما مثل ما قال الأول ، فلما علواها فاذا هو بموسى بن عمران عليه السلام ، فسلم عليه ، فرد عليه السلام ورحب به ودعا له بخير . ثم صعدا إلى السماء السابعة ، فلما أتياها قال لهما الخازن مثل ما قال الأول ، فلما علواها فاذا النبي صلى الله عليه وسلم ، بابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ، ثم عرج به إلى محل يسمع فيه صريف الأقلام ، ففرض الله عليه وعلى أمته كل يوم وليلة خمسين صلاة فامتثل لذلك ، فأخذه بيده جبريل فأتى على إبراهيم فلم يقل شيئاً ، ثم أتى على موسى فقال له : ماصنعت يامحمد ، مافرض ربك عليك وعلى أمتك ؟ قال له : فرض علي وعلى أمتي كل يوم وليلة خمسين صلاة ، فقال له موسى : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فرجع إلى ربه فوضع عنه شطرها ، فرجع إلى موسى وأخبره ، فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فلم يزل يرجع بين موسى وربه فيحط عنه خمساً خمساً ، فرجع إلى موسى فأخبره ، فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فقال له : قد راجعت ربي حتى استحييت منه ولكن أرضى وأسلم . وقال له ربه : هي خمس : أي في العدد ولكن هي خمسون : أي في الثواب . وقال له أيضاً : لا يبدل القول لدي ، ثم انطلق به صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى ، فغشيته ألوان لا يعلم ما هي ، ثم أدخل الجنة فوجد ترابها المسك . هكذا يؤخذ من جمع من الأحاديث .

خاتمــة

قيل إن مدة ما ذكر أربع ساعات ، ولا غرابة فى ذلك ، ومنكر الاسراء كافر كما تقدم لتكذيبه القرآن ، ومنكر المعراج فاسق مبتدع فافهم ، وادع لى بالمغفرة .

﴿ويجب الايمان بشفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم﴾ أى مما يجب اعتقاده أن النبى صلى الله عليه وسلم شافع ، أى ويجب اعتقاد أنه مشفع ، أى مقبول الشفاعة ، واعتقاد أنه مقدم على غيره من جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة والعلماء والصالحين . وله شفاعات أعظمها الشفاعة العظمى فى فصل القضاء ، وهو طول الموقف ، لأن الناس فى ذلك الوقت يذهبون إلى الرسل من آدم إلى عيسى ويسألونهم الشفاعة فى الانصراف من ذلك الموقف ، فلا يجيبونهم . فاذا وصلوا إلى الرئيس الأعظم صلى الله عليه وسلم فيقول : أنا لها أنا لها ، فيسجد تحت العرش ، فيقول الله : ارفع رأسك واشفع تشفع ، فيرفع رأسه ويشفع ، وهـذا هو المقام المحمود . وله شفاعات مختصة به غير هذه . فمنها الشفاعة لقوم فى دخولهم الجنة ، والشفاعة لمن فى قلبه مثقال ذرة من الايمان فى خروجه من النار ، والشفاعة فيمن خلد في النار من الكفار أن يخفف عنهم العذاب فى أوقات مخصوصة ، كما فى حق أبى طالب على القول بموته على الكفر .

تنبيه : كما يشفع النبى صلى الله عليه وسلم ، يشفع غيره من الأنبياء والمرسلين والملائكة والصحابة وغيرهم ، بل والمولى جل جلاله يشفع فيمن قال : لا إله إلا الله ، ولو لم يعمل خيراً قط .

خاتمــة

قوله : سيدنا ، أى معشر العقلاء أخذاً من الضمير ، والاضافة فيه للتشريف . والسيد بفتح السين المهملة وكسر الياء مشددة ، قيل هو التقى ،

وقيل هو الفقيه العالم ، وقيل هو الكريم الحليم ، وكلامه يدل على جواز إطلاق السيد على غير الله ، وهو الصحيح . قال تعالى : (وسيداً وحصوراً ونبيا من الصالحين) . وقال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » وما ورد من قوله « إنما السيد الله » فمراده به السيادة المطلقة ، أو من قبيل التواضع . وقوله محمد بالجر بدل من سيد ، وبالنصب مفعول لفعل محذوف ، وبالرفع خبر مبتدأ محذوف ، وهو الأنسب بذاته صلى الله عليه وسلم ، فانها عمدة ، فاللائق به أن يكون اسمها كذلك ، وهو علم منقول من اسم المفعول المضعف ، وهو حمد بتشديد الميم قد سماه به جده عبد المطلب سابع يوم ولادته بالهام من الله ، فقيل له : لم سميته محمداً وليس من أسماء آبائك . فقال: رجوت أن يحمد في السماء والأرض ، وقدحقق الله سبحانه وتعالى رجاءه ، وهو أشرف أسمائه صلى الله عليه وسلم ، فلذا ذكر فى القرآن أكثر من مرة ، وهو صلى الله عليه وسلم : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نذار بن معد بن عدنان هذا هو نسب المصطفى المجمع عليه . وقوله : صلى الله عليه : أى أنعم عليه نعمة مقرونة بتعظيم فى الدار الأولى باظهار دعوته ، وعلو ذكره ، وبقاء شريعته ، وفى الآخرة بشفاعته فى أمته ، وقوله وسلم : أى أمنه مما يخاف ، وهذا معناها فى حق الله ، أما من الملائكة والانس والجن فهى(١) الدعاء بأن الله يعظمه ويشرفه وهذا هو التحقيق ، وما شاع أنها من الملائكة الاستغفار ، ومن الانس والجن الدعاء بخير ، فهو خلاف التحقيق كما ذكره العلامة الفاضل سيدى محمد الدسوقى فى حاشيته على شرح أم البراهين لمؤلفها سيدى محمد ابن يوسف السنوسى . وعبر بالجملة الماضوية إشارة إلى أن وقوع الصلاة

(١) قوله : فهى : أى الصلاة اه .

محقق ، فشبه الماضوية بالمستقبلة بجامع تحقق الوقوع ، ثم اشتق من الصلاة الماضية صلى بمعنى يصلى .

﴿ ويجب الايمان بعلامات الساعة : أولها خروج المسيح الدجال ﴾ أى مما يجب الايمان به علامات الساعة ، أولها خروج أى ظهور المسيح بالحاء المهملة ، لأنه ممسوح العين كما يأتى ، والدجال من الدجل وهو التغطية لأنه يغطى الحق ، وهو من بنى آدم اسمه صاف وكنيته أبو يوسف ، وهو يهودى يمسح الأرض فى مدة يسيرة ، وهى أربعون يوماً ، يوم كسنة ، و يوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وباقى أيامه كأيامنا .

واعلم أنه لا لحية له وله شاربان ، وطوله ثمانون ذراعاً ، وعرضه مما بين كتفيه ثلاثون ذراعا ، وطول جبهته ذراعان فيها قرن منكسر آخره ، وشعر رأسه كأنه أغصان شجرة ، وله يدان طويلتان يتناول السحاب بيده ، ويأخذ السمك من قعر البحر ويشويه فى الشمس ، وإذا خاض البحر المالح لم يستره الماء بل إلى خلخال رجله . قال جميع ذلك الصفتى .

وإن موضع إحدى عينيه ممسوح كجبهته ليس فيه أثر عين ، ومكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مسلم ، وهو أعور العين اليسرى ، واليمنى خارجة كحبة عنب ، شعره كثير ، معه جنة ونار ، فناره جنة ، وجنته نار ، أى أن من أدخله ناره لتكذيبه إياه تكون النار سبباً لدخوله الجنة ، ومن أدخله الجنة لتصديقه إياه تكون تلك الجنة سبباً لدخوله النار ، ولا يولد مطلقا قبل خروجه أو بعده ، ولا يدخل المدينة ولا مكة ولا بيت المقدس ، تطرده الملائكة عن ذلك تشريفاً لهن . واعلم أنه يخرج من خراسان ويتبعه قوم من الأتراك .

تنبيه : من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ، أو الأرض بالنبات فتنبت . ومن فتنته أيضاً أن يقول للشخص : أحى لك أبويك يشهدان أنى أنا ربك ، فيتمثل الشيطان بصورتهما ويقولان له : يابنى اتبعه فانه ربك ، وهو

موجود مسلسل بحديد فى يديه ورجليه ، فى جزيرة من الجزائر ، فسبحان الخلاق العليم .

فائدة : طعام المؤمنين فى زمن ظهور الدجال التسبيح والتقديس ، فمن كان منطقه التسبيح والتقديس أذهب الله عنه الجوع والظمأ .

خاتمـــة

اعلم أنه قبل خروجه بثلاث سنين ، فى أول سنة منها تمسك السماء ثلث قطرها ، والأرض ثلث نباتها ، وفى الثانية تمسكان ثلثى ماذكر ، وفى الثالثة تمسكان ما بقى .

﴿ثانيها نزول سيدنا عيسى ابن مريم﴾ ينزل من السماء الثانية التى يسبح الله فيها وليس (١) فيها مكلفاً لا يأكل ولا يشرب ، بل هو ملازم التسبيح كالملائكة ، وينزل وهو لابس ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران ، ويقتل الدجال ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير . ووقت نزوله صلاة الصبح فيصلى به محمد بن عبد الله المهدى ، والحكمة فى نزوله دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود الزاعمين أنهم قتلوه . و يتزوج امرأة ويولدله ولدان وشرعه موافق لشرع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

خاتمـــــة

يقع الأمن فى زمن عيسى عليه السلام فى الأرض ، حتى يرعى الأسد مع الابل ، والنمر مع البقر ، والذئب مع الغنم ، ويموت المهدى ببيت المقدس ، وينتظم الأمر كله لعيسى عليه السلام ، ويمكث فى الأرض بعد نزوله اربعين سنة ، ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ، وقيل يمكث سبع سنين بعد

---

(١) قوله وليس الضمير لعيسى عليه السلام اه .

نزوله ، وليس يبقى بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله الريح الذى يقبض أرواح المؤمنين به .

وسئل شيخ شيوخنا الأجهورى : هل ينزل عليه جبريل بعد نزوله من السماء أم لا ؟ فأجاب بأنه ينزل عليه كما يؤيده الحديث الآتى : أى قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يوحى » الخ اه . ويدفن فى الروضة مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

﴿ ثالثها خروج يأجوج ومأجوج ﴾ هما اسمان منعا من الصرف للعلمية والعجمة، ويقرأ كل منهما مهموزاً وغير مهموز ، وهما قبيلتان من ولد يافث ابن نوح عليه السلام وهم كفار دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء فلم يجيبوه ، ولا يموت شخص منهم حتى يخلف ألف فارس من صلبه يحمل السلاح ، وخلقتهم مختلفة . فمنهم من طوله مساو لعرضه ، ومنهم من يفرش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى . لهم أضراس كالسباع .

روى مسلم من حديث النواس بن سمعان «إن الله تعالى يوحى إلى عيسى عليه السلام : أنى قد أخرجت عباداً لى لا يدان لأحد يقاتلهم فحرز عبادى إلى الطور» ، اى أضممهم إليه ، واجعله لهم حرزاً . وهما أمم كل أمة أربعمائة ألف ، لا يموت الرجل حتى يرى ألف عين تطوف بين يديه من صلبه ، وهم من ولد آدم كما تقدم فيسيرون فى الدنيا وقت إرادة الله خروجهم فيكون مقدمهم الشام وسابقهم بالعراق فيمرون بأنهار الدنيا فيشربون الفرات والدجلة وبحيرة طبرية حتى يأتوا بيت المقدس فيقولون قد قتلنا أهل الدنيا فنقاتل أهل السماء فيرمون نشابا معهم إلى السماء فيرده الله محمراً دماً ، ويقتلون من كان متبعا للدجال ، وفى ذلك الوقت يكون سيدنا عيسى ومن معه منحصرا فى رءوس الجبال . وبعد ذلك يسلط الله عليهم داء يقتلهم وهو دود يخرج من أعناقهم ، والله أعلم .

﴿ رابعها خروج الدابة ﴾ أى فصيل ناقة صالح عليه السلام هربت حين عقرت أمها وانفتح لها حجر وانطبق عليها فهى مستقرة فيه إلى وقت خروجها ومعها خاتم سيدنا سليمان ، وعصى سيدنا موسى، فتجلو وجه المؤمن بالعصى فتصير بين عينيه نكتة بيضاء ، وتخطم أنف الكافر بالخاتم فيسود وجهه حتى أنه إذا اشترى أحد حاجة من آخر فيأتى له أبوه مثلا فيقول ممن اشتريت ؟ فيقول من الرجل المخطم .

تنبيه : الدابة هى التى ذكرت فى القرآن فى سورة النمل قال تعالى : (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض) أى إذا قرب وقوع معنى القول ، وهو ما وعدوا به من البعث أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم . واختلف فى كلامها فقيل ببطلان الأديان إلا دين الاسلام، وقيل تقول: يافلان أنت من أهل الجنة ، ويا فلان أنت من أهل النار ، وقيل (تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أى لا يوقنون بخروجى ، وطولها ستون ذراعا بذراع سيدنا آدم، ولها أربعة أرجل قد جمع خلقها من خلق حيوانات كثيرة بين كل مفصل والآخر اثنا عشر ذراعا .

خاتمة

الدابة لها ثلاث خرجات ، خرجة بأقصى اليمن فيفشو ذكرها فى البادية ، ولا يدخل ذكرها مكة ، ثم يمكث زمانا طويلا ، وخرجة قريبة من مكة ، فيفشو ذكرها فى البادية ، وبمكة ، وخرجة بينما عيسى ابن مريم يطوف بالبيت ومعه المسلمون ، إذ تهتز الأرض تحتهم ويكشف الصفا مما يلى المسجد الحرام ، فتخرج رأس الدابة من الصفا ، وبعد تكامل خروجها يمس رأسها السحاب ورجلاها فى الأرض ، فسبحان القادر الحكيم العزيز الجبار ، والله أعلم .

﴿خامسها﴾ طلوع الشمس من مغربها ثلاثة أيام ، وقيل يوم واحد أى تطلع مما كانت تغيب فيه أولا ، وتغيب مما كانت تخرج منه أولا ، وعند ذلك يغلق باب التوبة ، وأما القمر فيطلع حين طلوعها من المغرب منه أيضا كما نص عليه النفراوى ﴿وبما يجب تجديد التوبة﴾ من الذنوب قال عليه الصلاة والسلام «التوبة من الذنب أن لا تعود إليه أبدا» رواه ابن مردويه والبيهق عن ابن مسعود ، وقال عليه الصلاة والسلام «التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لا تعود(١) أبدا» رواه ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى" وقال عليه الصلاة والسلام «لله أفرح بتوبة التائب من الظمآن الوارد ومن العقيم الوالد ومن الضال الواجد ، فمن تاب توبة نصوحا «أى خالصة صادقة» أنسى الله حافظيه وجوارحه وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه» ، رواه أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن تركان بمثناة فوقية مضمومة وسكون الراء الهمذانى فى كتاب التوابين ، عن الحرث مرسلا. قال المناوى : والمراد أى بقوله . لله أفرح أنه يبسط رحمته على عبده ويكرمه بالاقبال عليه اه ، أى بسبب إقباله على فعل ما يرضاه واجتناب ما ينهى عنه والتوبة واجبة على من ارتكب الذنب ، وهى لغة الرجوع من تاب يتوب إذا رجع ، وحقيقتها شرعا ما فى الحديثين . واعلم أنه لا يشترط فى صحتها تعيين الذنب إلا إذا تاب من البعض فتصح إجمالا ولو لم يشق عليه التعيين كما قال النفراوى على الرسالة ، وإقامة الحدود كفارة للذنب ولو لم يتب المحدود . والذنوب عند أهل السنة قسمان صغيرة وكبيرة ، والكبيرة كل ذنب عظم وكبر ، ولها علامات منها إيجاب الحد على فاعلها ، ومنها إيعاد الله

(١) الظاهر — والله أعلم — لاتصر على العود لأنه حيث لاعصمة فلايملك عدم العود اه كتبه نجل المؤلف عبد العزيز

عقاب صاحبها بالنار ، وقد روى البخارى عن أنس كما فى الجامع الصغير أنه عليه الصلاة والسلام قال « أكبر الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور » .

تنبيه : قال عبد السلام فى شرحه على الجوهرة : قلت فى كلام الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى مانصه : لاأعلم شيئا من الكبائر قال أحد من أهل السنة بتكفير مرتكبه إلا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الشيخ أبو محمد الجوينى من أصحابنا وهو والد إمام الحرمين : إن من تعمد الكذب عليه صلى الله عليه وسلم يكفر كفرا يخرجه عن الملة ، وتبعه على ذلك طائفة منهم الامام ناصر الدين بن المنير من أئمة المالكية ، وهذا يدل على أنه من أكبر الكبائر .

خاتمة

دليل توبة الكافر قطعى ، قال الله تعالى : (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) وتوبة المؤمن العاصى فيها قولان المشهور منهما أنها مقبولة قطعا ، والآخر قبولها ظنا ، ومن شروط صحتها أن تصدر منه(١) ، قبل الغرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها ، وهى أى التوبة أشد على الشيطان من كل شىء لأنها تضيع ماعمله مع فاعل المعصية ، ولأنها من الأمور المفلحة المنجية ، قال تعالى (وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) وقال عليه الصلاة والسلام « التائب من الذنب كمن لاذنب له ، وإذا أحب الله عبدا لم يضرّه ذنب » رواه القسيرى فى رسالته وابن النجار عن أنس ، ومعناه أن التائب حبيب الله ، والله لايعذب حبيبه ، وقوله : لم يضرّه ذنب أى أنه إذا أحب عبده تاب عليه قبل الموت فلم تضره ذنوبه هكذا قرر لى

---

(١) أى التائب اه مؤلف .

بعض مشايخى ، قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه سلاح المريذين : قال سهل رحمه الله : ليس شىء أوجب على هذا الخلق من التوبة ولاعقوبة أشد عليهم من فقد التوبة ، وقد جهل الناس علم التوبة قال عز وجل : (وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) ومعناه ارجعوا إليه من هوى أنفسكم ومن وقوعكم مع شهواتكم عسى أن تفلحوا. وقال صلى الله عليه وسلم « أيها الناس توبوا إلى الله فانى أتوب إلى الله فى اليوم مائة مرة » ثم قال : قال الله عز وجل (واتبعوه لعلكم تهتدون)

﴿ويجب الايمان والرضا بالقضاء والقدر﴾ أى ويجب على كل مكلف أن يرضى بما قضاه الله وقدره ويصدق به : خيرهما وهو ما كان من أنواع الطاعات ، وشرهما وهو ماكان من أنواع المعاصى ، وحلوهما وهو لذة الطاعة وثوابها ، ومرهما وهو مشقة المعصية وعقوبتها . والقضاء عند الاشاعرة إرادة الله المتعلقة أزلا بتخصيص الممكن ببعض مايجوز عليه على طبق علمه ، وعليه فهو قديم . والقدر عندهم أيضا إيجاد الله الأشياء على طبق ماسبق فى علمه وإرادته ، وعليه فهو صفة فعل ، وهى حادثة ونظم الأجهورى مذهبهم بقوله .

إرادة الله مع التعلق ... فى أزل قضاؤه لحقق
والقدر الايجاد للأشيا على ... وجه معين أراه علا(١)
وبعضهم قد قال معنى الأول ... العلم مع تعلق فى الأزل
والقدر الايجاد للأمور ... على وفاق علمه المذكور

فان قلت : إن الكفر والمعاصى من جملة القضاء والقدر ، والله لايرضى ذلك ، قال تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) . أجيب عن ذلك بأن الرضا بالقضاء الذى هو الايجاد على طبق العلم والارادة ، لا بالمقضى الذى هو نفس الكفر ،

(١) أى ارتفع عن كل نقص فهو فعل ماض اه

وقصد المصنف رحمه الله بذكرها الرد على القدرية ، وهم فرقتان: الأولى تنكر تعلق علم الله بالأشياء قبل وجودها وتثبت له علمها عند وجودها ، والثانية تقول الله يعلم الأشياء قبل وجودها وحال وجودها غير أن أفعال العباد واقعة منهم استقلالا والأولى كافرة والثانية فاسقة كما نص على ذلك الصاوى فى حاشيته على الجوهرة

خاتمـــة

فى مسائل من علم التصوف

اعلم أن التصوف هو حياة القلوب وأخرته فى الذكر لأنه لايمكن السير إلى الله تعالى إلا بعد معرفة العقائد المتقدمة فينشأ عنها(١) صفاء القلوب من الكدرات ولاشىء يجلى القلب أكثر من كلمة التوحيد وهى حصن من عذاب الله مانع منه ، قال عليه الصلاة والسلام « حدثنى جبريل ، قال يقول الله تعالى : لاإله إلاالله حصنى فمن دخله أمن من عذابى » اه فهى حصن عظيم فمن أراد ذلك فعليه بالنطق بها ، ولها سرّ عظيم يعرفه من ذاق لذتها ، فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها بأن يجريها على قلبه إذا لم يشتغل لسانه بها لأنه رئيس الأعضاء فكلما اتصف بصفة تبعته الأعضاء فيها فاذا فعل ذلك امتزجت به وأحاطت بدمه ولحمه حقيقة إذ الاكثار من إجراء الشىء على اللسان يستلزم حضوره فى الجنان ، ويوضح الاختلاط حقيقة ما حكى عن بعضهم من تهليل دمه حين قطعت رأسه ، وعن بعضهم من تهليل لسانه وشعره حالة النوم فهو امتزاج سريانى كحلول الماء فى العود . وهى من أعظم أنواع الذكر قال صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الله لايسبقها عمل

---

(١) قوله عنها أى عن حياة القلوب اه . مؤلف

ولا تترك ذنبا ، قلت - والله أعلم - أى لا يسبقها فى الاجابة وتكفير الصغائر وينبغى للشخص أن يكون زاهدا فيما سوى الله حابا ماأمر الله به ومتثلا لفعله كارها مانهى عنه ومبعداً عنه ، وأن يكون صابراً على المصيبة إذا أصيب بها فلا يغضب بل يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وأن يصبر على فعل الطاعات أى التكاليف بحيث يأتى بها على نظامها المعلوم ولا يسرق منها شيئاً ، وأن يكون صابراً على ترك المعصية وهو أعلى مراتب الصبر لصعوبة مخالفة النفس أى وحملها على غير طبعها ، ودونه الصبر على الأوامر لأن أكثرها محبوب للنفوس الفاضلة ، وأن يكون مقتصراً في المعيشة على قدر الكفاف إذ المسافر لا يشتغل بسوى الضرورات ، وفى الحديث كما فى التحفة للمصنف « يكفى ابن آدم لقيمات يقمن صلبه» اهـ . وأن يكون جائعا إذ بالجوع تنكسر النفس والله عند المنكسرة أنفسهم ، وأن يكون معتزلا عن الناس سيما أهل هـذا الزمن قال فى سلاح المريدين بعد كلام : قال الجنيد رحمه الله : من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه فليعتزل الناس فان هذا زمان وحشـــة فالعاقل من اختار فيه الوحدة . وأن يكون خلقه حسنا مع خلق الله قال عليه الصلاة والسلام « أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً » رواه الطبرانى عن أسامة . وأن يكون آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر ، فان وجده أزاله ولو بقلبه . وأن يكون مشتاقا إلى لقاء مولاه أكثر من اشتياقه إلى أبيه وأمه ، وأن يكون كيسا فى أموره بأن يفعل أفعال أحباء الله ، ولا يكون عاجزاً ، والأول من أدب نفسه وحاسبها وقهرها وأبعدها عن المعاصى وعمل لما بعد الموت لتصير عاقبة أمره خيرا . والثانى من قصر فى الأمور وأتبع نفسه هواها فلم يكفها عن الشهوات وتمنى على الله أن يعفو عنه وأنه مفرط ، وهذا من أعظم الجهل أعاذنا الله منه . وأن لا يحب المال والشرف ، ولا الكبر ، ولا الرياء ، ولا طلب الشهرة في البلاد بل يصفى قلبه من ذلك ، فانها تنبت النفاق فى القلب كما ينبت المـاء البقل . قال

الغزالى فى كتابه الكشف والتبيين : ومن لا يصفى قلبه لا تصح طاعته وهو كمريض ظهر به الجرب فأمر بالطلاء وشرب الدواء فاشتغل بالطلاء وترك الدواء فأزال ما بظاهره ولم يزل ما بباطنه ، وأصل ما على ظاهره مما فى باطنه فلا يزال جربه يزداد أبداً مما فى باطنه فلو أزال ما فى باطنه استراح الظاهر فكذلك الخبائث إذا كانت كامنة فى القلب يظهر أثرها على الجوارح اه وأن يكون تاركا للخصال الذميمة كالحقد والحسد وحب الجاه والرياسة وبغض أحد من الخلق وأن يحب للناس ما يحب لنفسه من علم أو مال أو ولد إلى غير ذلك ، وأن يكون فى حال سيره إلى مولاه مخالفا لشهوات نفسه طلبا لمرضاة الله تعالى ، وأن يكون إذا أصيب ببلاء صبر ، وإذا أتته نعمة شكر ، وأن يكون تابعا للعلماء الراشدين لقوله عليه الصلاة والسلام « اتبعوا العلماء فانهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة » رواه الديلمى فى الفردوس عن أنس ، ومخالفا للجاهلين ومفارقا لهم فلا يعتنى بما آخرته وبال فيجاهد نفسه وهواه ، فلا يراه مولاه حيث نهاه ، ويلزم العلم والعمل به فان الله لا يعبد إلا بالعلم ولا يعصى إلا بالجهل والمعصية علامة الضلالة ، والطاعة علامة الهداية .

وأن يكون دائم الذكر لمولاه مجتنباً للذنوب صغائرها وكبائرها ، وأن يكون قليل الكلام فان كثيره يوجد عدم الاحترام فلا يتكلم إلا فيما يعنيه وإلا فالصمت أولى لأنه أرفع أنواع العبادة فان أكثر الخطايا من اللسان فاذا ملك الانسان لسانه فقد تلبس بباب عظيم من العبادة ، فلا يكثر المزاح مع الناس لئلا ينظروا إليه بعين الحقارة . قال فى سلاح المريدين : ولدى دع عنك القال والقيل واشتغل بذكر الله إن كنت عاقلا ، وينبغى للعاقل أن يكون مشغولا بما هو غدا عنه مسئول . واسمع ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله عز وجل فان كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسى » اه . وأن

يكون متخلقا بأخلاق النبى صلى الله عليه وسلم أى فيكون ملازما للحلم والتحمل للأذى ، وأن يكون متبعا كلام الله وكلام رسوله ، وأن يكون تابعا للسلف لشدة محافظتهم على السنة فلا يركن لذى بدعة ولا يكون من أهل الحسد ، ولا يسب مؤمنا بغير حق ، وأن لا يشهد شهادة زور ، وأن لا يهجر مسلما فوق ثلاثة أيام ، وأن يكون متمسكا بالكتاب والسنة . قال فى سلاح المريدين : ياولدى عليك بالتمسك بكتاب الله عزوجل والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لاطريق للمؤمنين أسلم من التمسك بكتاب الله عز وجل والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهما المنهج الأوضح والمقصد الأصح قال الله عز وجل (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) اهـ . وأن يكون ملازم الصدق فى المواطن كلها ومفارق الكذب كذلك ، ففى كلام سفيان الثورى : مما أوصى به على بن الحسن السلمى : عليك بالصدق فى المواطن كلها ، وإياك والكذب والخيانة ومجالسة أصحابها زور كله ، وإياك ياأخى والرياء فى القول والعمل فانه شرك بعينه ، وإياك والعجب فان العمل الصالح لايرفع وفيه عجب ، ثم قال : وليكن جليسك من يزهدك فى الدنيا ويرغبك فى الآخرة ، وإياك ومجالسة الذين يخوضون فى حديث الدنيا فانهم يفسدون عليك دينك وقلبك اهـ . وأن يكون عمله خالصا لوجه الله تعالى قال الله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وفى الحديث « من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لاشريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض » ، وفى الحديث أيضا كما فى الجامع الصغير عن أبى نعيم فى الحلية عن ثوبان أنه عليه الصلاة والسلام قال « طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تنجلى عنهم كل فتنة ظلمى » اهـ . قال المناوى : أى المخلصين الذين أخلصوا أعمالهم من شوائب الرياء ومحضوا أعمالهم لله أولئك مصابيح

الهدى الخ... لأنهم لما أخلصوا فى المراقبة وقطعوا النظر عما سواه لم يكن لغيره عليهم سلطان اه .

فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم بجاه سيد الأولين والآخرين ، وصلى الله على سيدنا محمد الواسطة العظمى لنا فى كل شىء ولا سيما نعمة هــــذا الكتاب وعلى آله وصحبه والتابعين له أولى الألباب .

قال مؤلف هذا الشرح اسماعيل بن موسى الحامدى المالكى غفر الله له : قد تم جمعه صبيحة يوم الجمعة أول يوم من شهر ذى الحجة سنة سبع وستين بعد المائة والألف ، من هجرة من له العز والشرف ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

يقول كاتبه نجل المؤلف : تمت كتابتى الشرح فى ١٧ شعبان سنة ١٣٤٩ هـ

بحمد الله تعالى وتوفيقه تم طبع كتاب « شرح الشيخ اسماعيل الحامدى » على « العقيدة الصغرى » لأبى البركات سيدى أحمد الدردير رضى الله تعالى عنه مصححاً بمعرفتى ؟

رئيس التصحيح
أحمد سعد على
من علماء الأزهر الشريف

[القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ربيع الثانى سنة ١٣٥٨ هـ / ٢٩ مايو سنة ١٩٣٩ م]

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمران

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبى